المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع والاربعين

١ اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩١٥ — الموافق ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٣

البحث الجديد في الدم

اتجهت همَّة العلماء في هذه السنين الاخيرة الى البحث في الدم والاعضاء الداخلية وما يقع فيها من التغيُّر وما يفرز منها من المواد وعلاقة ذلك بالصحة والمرض . ومن الباحثين في هذا الموضوع الاستاذ جون ابل استاذ علم الاقراباذن في مدرسة جونس هُبكِنس الطبيَّة باميركا . وقد خطب بالامس خطبة نفيسة ذكر فيها خلاصة البحث في الدم فلخصنا منها ما يلي لما فيهِ من الفوائد الجمَّة قال

لا تخفى اهمية الدم لجسم الحيوان حتى صار رمزاً للحياة . وكان القدماء في اسيا ومصر واليونان يهتمون بكل خلل يقع فيهِ اشد الاهتمام . وفي طب ابقراط انهُ اذا اعتدلت الاخلاط الاربعة وهي عندهم الدم والبلغم والصفراء والسوداء فهناك الصحة واذا انحرفت فهناك المرض . ومن ثم شاع الفصد كعلاج في كثير من الامراض وشاعت ايضاً الحجامة وارسال العلق[1] لاخراج الدم الفاسد او الزائد من البدن

والفصد قديم جدًّا القدم من زمن ابقراط ومثلهُ الحجامة وارسال العلق . وكان استعمال العلق لاخراج الدم من البدن شائعاً في بلاد الهند منذ عهد قديم جدًّا ولم يزل شائعاً حتى في اوربا . ففي البلاد التي يتقارب فيها الحلقاء والالمان الآن اماكن كثيرة يربَّى العلق فيها ويقال انهُ كان يرسل من ستراسبرج الى باريس كل يوم ٦٠٠٠٠ علقة الى ٨٠٠٠٠

وقد كشفت فائدة جديدة للعلق وذلك ان جول الجزء الاعلى من قناتهِ الهضمية غدداً فيها مادة تمنع تخثُّر الدم وتبقيهِ سائلاً كما يبقى في باطن العلقة وقد سميت هذه المادة باسم الهيرودين hirudin فصار العلق يربَّى لاستخراج هذه المادة منهُ واستعمالها في المباحث الطبية

(١) العلق حيوان معروف ويسمى في مصر دودًا

في اواخر القرن الثاني عشر نظم بعضهم قصيدة لاتينية في مدرسة سالرنوم بايطاليا سماها قانون الصحة استخلص قواعدها من كتب الطب العربية وقد طبعت هذه القصيدة ٢٤٠ مرة بعد ظهور فن الطباعة وترجمت الى كل اللغات الاوربية ومما قيل فيها ما يأتي

بالفصد تطهيرٌ وطبٌّ للبدَنْ ونزعُ ما في عصب من الوهَنْ
وهو الذي يجلي ضياء البصرِ ويشحذ العقل لاهل الفكرِ
ويصلح السمعَ وينفي الارَقا ويمنع الغمَّ ويقصي القلَقا

ويلي ذلك ابيات تحدد الآفات والاوقات التي يجب فيها اطلاق الدم كقوله

والفصد واجبٌ اذا احتدَّ المرضْ وليس منهُ في احتدادهِ عوَضْ
ويفصد الكهلُ بلا سؤالِ والشيخ كالطفلِ على اعتدالِ

وكثر استعمال الفصد في اوربا في القرون الوسطى واشترك علم الطب حينئذٍ مع علم النجوم فكانت ازمنة الفصد تعيَّن حسب مواقع السيارات وكانت آراء اطباء العرب مخالفة لآراء ابقراط في الفصد فانتصر فريق من الاطباء الاوربيين لابقراط وفريق لاطباء العرب واحتدم الجدال بين الفريقين فان ابقراط كان يقول بان الوريد الذي يفصد يجب ان يكون اقرب الاوردة الى محل الآفة حتى ينزف الدم الفاسد من العضو المصاب واما اطباء العرب فقالوا انهُ يجب ان يفصد وريد بعيد عن العضو الذي فيهِ الآفة حتى لا يتجمع الدم النقي فيهِ فاذا كانت الآفة التهابًا في الرئة وجب ان يفصد وريد في الذراع او في الرجل منعًا لتجمع الدم النقي في الرئة المصابة

وكان رأي اطباء العرب متغلبًا في اوربا في اوائل القرن السادس عشر وقام حينئذٍ طبيب اسمهُ بطرس برسو وحاول العود الى رأي ابقراط فاحتدم الجدال بينهُ وبين الذاهبين مذهب اطباء العرب فتغلبوا عليهِ وطردوهُ من باريس بعد ما منعوهُ التعليم فيها . وجنحت مدرسة سلامنكا باسبانيا الى مذهبهِ ورُفع الخلاف الى الامبراطور كارلس الخامس فحكم ان مذهب برسو هذا ضارٌّ كهرطقة لوثيروس

وكان الرجل يُفصَد في ذلك العصر اربع مرات او خمسًا في مرضهِ ويستفرغ من دمهِ ثلاثة ارطال او اربعة كل مرة . وكان يقال اننا اذا اردنا ان نطهر بئرًا وجب ان ننزح منها الماء الآسن حتى يرشح اليها الماء النقي وكذلك البدن يجب ان ينزح منهُ الدم الفاسد حتى يتكوَّن فيهِ الدم الصحيح وانهُ يجب ان يستخرج من الدم كل ما يمكن استخراجهُ في كل مرض . ولما كان وزن الدم في جسم البالغ نحو ثلاثين رطلاً وجب ان يستخرج منهُ ١٥ رطلاً في

اربعة عشر يوماً . ويقال ان بوڤار طبيب الملك لويس الثالث عشر فصدّهُ سبعاً واربعين مرة وحقنهُ ٣١٢ حقنةً وسقاهُ ٢١٥ مسهلاً ومقيئاً وذلك كلهُ في سنة واحدة

وقام في اوائل القرن السابع عشر العالم فان هلمنت وانكر فائدة الفصد بتاتاً واليهِ ينسب القول المأثور عندهم وهو «ان المعبود مولوك الدموي جلس في كرسي الطب» . واشار بالاعتماد على العقاقير الطبيّة والتدابير الصحيّة بدل الفصد . وجاراهُ في ذلك فرنسكوس ده له بوى وهو من زعماء الاطباء في زمانهِ ومن اول الذين دافعوا عن قول هارڤي في دورة الدم وهو الذي علّم في مدرسة ليون ان سبب المرض اختمار في سوائل البدن مخالفاً قول القدماء في الاخلاط . وألّف كتاباً قال في الفصل العشرين منهُ ما ترجمتهُ « ان امتلاء الدم يزول بسهولة بالفصد سواء كان ذلك دفعةً واحدة او متكرراً حسب حالة المريض وقوتهِ لان كثيرين لا يحتملون استفراغ كثير من الدم منهم دفعةً واحدة بل يغمى عليهم حالاً فلا فائدة لهم من الفصد واني افضل منع الفصد على قدر الامكان . ويجب استعمال كل علاج بالاقتصاد لا بالافراط فكثيراً ما يحدث ان يستنزف الدم من الجسم بالفصد وتستنزف معهُ الحياة »

الاّ ان الدكتور دوڤر مركّب المسحوق الطبي المنسوب اليهِ قال انهُ كان مرةً في سفن انكليزية حربية نزل بحارتها في بلاد موبوءة بالطاعون فاصيب بهِ ١٨٠ منهم فامر الجراحين الذين في السفن ان يفصدوا كلاً منهم في ذراعيهِ الى ان يغمى عليهم حتى تزف من كلٍّ منهم لا اقل من مئة اوقية طبية من الدم (نحو اقتين) وكان معهم شيء من زيت الزاج (الحامض الكبريتيك) فمزجهُ بالماء حتى صارت حموضتهُ مثل حموضة الليمون وسقاهم منهُ فشفوا ولم يمت منهم سوى سبعة او ثمانية ماتوا من كثرة الخمور التي شربوها

واستمرّ الاطباء على الاكثار من اطلاق الدم بالفصد والعلق والحجامة حتى قبل ان الطبيب برويساس (١٧٧٢ — ١٨٣٢) استعمل مئة الف علقة في سنة واحدة في المستشفى الذي كان يطبب فيهِ . وكان هو وبوبليان يفصدان المحموم عشر مرات الى عشرين مرةً . لكن القائلين بالاعتدال في اطلاق الدم كثر عددهم وقوي شأنهم رويداً رويداً ولم يبطل اطلاق الدم الاّ حينما ظهر مذهب جديد في سبب المرض اي حينما ظهر الرأي الحلوي واكتشف سبب الامراض المكروبي وعلاقة المكروبات بالالتهابات المختلفة فكاد الاطباء يبطلون اطلاق الدم بتاتاً في اواخر القرن التاسع عشر ولكن عامة الناس بقوا يستعملون الفصد والحجامة والعلق واذا امتنع الطبيب عن استخراج الدم لم استخرجهُ اطلاقون

والظاهر الآن ان العامة مصيبون في رأيهم لان علاجاً اعتمد عليهِ الناس الوفا من السنين

لا يحتمل ان يكون خالياً من الفائدة . قال الطبيب الشهير السر لودر برنتن « ان اطلاق الدم يخفف الاعراض وقد ينجي المريض من الموت كما في احتقان الجانب الايمن من القلب سواء حدث من ضعف الصمام الثلاثي او من آفة رئوية » . ومما يفيد فيه اطلاق الدم فائدة كبيرة التشنج النفاسي . والمرجح ان اطلاق الدم لا بقي من الطب في المستقبل كما نفى في الربع الاخير من القرن الماضي لانهُ لا يخشى من ان يساء استعمالهُ او يستعمل في غير محله كما كانت الحال قبلاً

ولا شبهة ان الافراط في الفصد او اطلاق الدم بنوع عام كثير الضرر كالافراط في كل شيء وسبب ذلك ان كريات الدم الحمراء وهي نحو ٣٦ في المئة من الدم تجعل الاكسجين لتوزعهُ في اعضائهِ المختلفة وهذه الكريات لا تتولد دفعةً واحدة بل تستلزم وقتاً لتولدها فاذا أُفرط في استفراغ الدم كما كان يفرط في الزمن الغابر فاما ان ينقطع سبل الحياة حالاً واما ان يتولد مرض طويل قلما ينتهي بالشفاء

ولما امعنتُ نظري في ذلك رأيت ان المانع الاكبر لاستفراغ الدم او للفصد بنوع خاص يمكن ان يتلافى اذا اعيدت الى الدم كرياتهُ الحمراء والبيضاء ولم يطرح منهُ الا المصل . فاذا امكن ذلك تلافينا كل فوائد الفصد واتقينا كل مضارهِ فشاع استعمالهُ ثانيةً وكثرت فوائدهُ حيث يجب الفصد ولكن يخشى من اضعافهِ للبدن بتقليل الاكسجين فيهِ

ولا نزال في دور الامتحان ولكنني تمكنت من استخراج الدم من الحيوان واضافة خلاصة العلق الى كرياتهِ الحمراء والبيضاء حتى لا يجمد ثم ازالة المصل منهُ وابدالهِ بمذوب ملحي واعادتهِ الى بدن الحيوان فلا يكون قد خسر الا المصل وما فيهِ من المواد المؤذية . وقد ثبت لي بالتجارب المتكررة انهُ يسهل بذلك اعادة الفصد مراراً من غير ضرر لان المصل يتجدد في الجسم بسرعة

ثم لا يخفى ان في الدم مواد كثيرة تصل اليهِ من اعضاء الجسم المختلفة وهي على غاية الاهمية ولكن مقاديرها قليلة جداً يتعذر اكتشافها بطرق الحل العادية فاستنبطت آلة توصل بالاوعية الدموية في الحيوان الحي وتزيل هذه المواد من الدم الذي يمرُّ فيها حالما يمرُّ من غير ان تزيل منهُ شيئاً من عناصرهِ اللازمة للحياة . ويمكن استعمال هذه الآلة اذا دخلت الجسم مادة سامة فانها تنزعها من الدم باسرع مما تنزعها منهُ الكليتان فكأنها كلية صناعية لاستخراج الاملاح ونحوها من الدم . وسيأتي الكلام على ما استخرج بها من المواد وما عُرف بواسطتها من خواص المفرزات التي تفرزها اعضاء الجسم المختلفة

الحرب واسبابها النفسية

من رأينا ان اسباب الحروب الآن ترجع الى محبة الكسب والتبسُّط في الارض . فالدولة التي تثير حربًا على غيرها من الدول يعد ان تعدَّ لها عدتها انما تقصد ان تكسب منها ارضًا او مالاً او توسُّعًا في السلطة او ما اشبه كما كانت الممالك القديمة يغزو بعضها بعضًا لاجل الكسب والتبسُّط في الملك وكما كانت القبائل تفعل قبلما انتظمت ممالك . ويشارك الدول الآن في مكاسبها مادية كانت او ادبيَّة قوَّاد الجيوش وضباطها وصانعو الاسلحة وموردو الميرة ومقرضو الاموال للدول وغيرهم من الذين ينتفعون من الحروب . الاَّ ان فريقًا من العلماء والفلاسفة يقول ان الميل الى الحرب خلق فطري كالميل الى الزواج والنزهة وان هذا الميل هو الذي يدفع الممالك الى اثارة الحروب . وقد اوضح ذلك الاستاذ بترك الاميركي من اساتذة جامعة ايوى بمقالة مسهبة نشرها في مجلة العلم العام الاميركية قال فيها ما خلاصتهُ

منذ نشبت هذه الحرب قام علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد وعلماء السياسة وعلماء الفلسفة وقد حاول كل فريق منهم كشف الغطاء عن اسبابها حسب مذهبهِ فلم يفلحوا لان اصول الحرب مغروسة في فطرة البشر . ويقول علماء طبائع الانسان ومؤرخو حوادثهِ ان ما يرى الآن بين الامم من التناظر والتخاذل والتضاغن مما يدعو الى امتشاق الحسام انما هو آثار باقية مما كان يقع من الحروب بين اسلافهم في غابر الزمن . فان الحروب كانت مستمرَّة حينئذٍ في كل مكان نزلهُ الانسان وسببها رغبة القوي في استعباد الضعيف والانتفاع منهُ لان الحصول على الحاجيات بالنهب اسهل من الحصول عليها بالكدح . ثم ان تلك الحروب افادت نوع الانسان لانها فرضت الضعيف من امام القوي ورسَّخت القواعد التي كان يسنُّها الغالب للمغلوب فميزت الاعمال بين واجب وجائز وممتنع . واتفقت تلك الاقوام على تحريم القتل وتهجينهِ بين اعضاء الفئة الواحدة وتحليلهِ وتحبيذهِ بين فئتين متحاربتين . ونظام الممالك الآن مبنيٌّ على القواعد التي اسسها السلف وجروا عليها . فالامراء والاغنياء من الفريق الواحد يستخدمون ضعفاءهُ وفقراءهُ كما يستخدم الغالب المغلوب . والفريق القوي يستخدم الفريق الضعيف . ويُمدَح ما يفعلهُ الفريق الواحد بالفريق الآخر من قتل ونهب فيسمَّى فتكًا وغنيمة ولكن نشأ ايضًا بين الطوائف السياسيَّة الحربيَّة طائفة ادبيَّة وطائفة صناعية وتجارية واتسع نطاقها حتى شمل المسكونة واساسهما ان الناس عمومًا مشتركون في المنفعة وان عليهم بعضهم لبعض حقوقًا يجب قضاؤها . ولكن اذا ثارت الحروب عادت الغرائز القديمة فتغلبت

على النفس لانها اقدم وارسخ وهي غرائز البغضاء والانتقام والقتل والسلب والنهب

ولا يخفى ان الفوز في هذا العصر لا ينبغي ان يكون للاقوى جسماً ولا للاذكى عقلاً. وان الغالب والمغلوب يخسران على حدٍّ سوى · والمغلوب لا يستأصَل ولا يستعبَد · والذين يُجرَحون ويصابون باعاقات تمنعهم العمل هم اكثر من الذين يُقتَلون · والذين يُقتَلون ويجرحون هم زهرة الامة · ثم ان نفقات الحروب باهظة تفقر الامم وتوقف دولاب الصناعة والتجارة وتقوّض معالم العمران · وويلاتها كثيرة فادحة فانها تخرب البيوت وتضعف النسل وتفسد الآداب وتورث الضغائن والاحقاد وليس لها فائدة من الفوائد التي كانت لها في اول عهد الانسان فكان الواجب ان تزول تماماً ولا يبقى لها ذكر الاّ في تواريخ العصور الغابرة ولكن الامر على ضد ذلك كما يستدلُّ من حوادث التاريخ ومعاملات الناس في هذا العصر فان الشغل الشاغل لامم الارض الآن هو الاستعداد للحرب بل انهم يسعون الى الحرب خوفاً من الحرب فترى هنا دولة تثير حرباً لامتلاك بوغاز تمرُّ فيهِ سفنها التجارية مخافة ان تنشب حرب تمنعها من المرور فيهِ كما تمرُّ وقت السلم · وهناك دولة تثير حرباً لكي تتبسَّط في الارض ولا يمنع تجّارها من الاتجار في اقاصي البلدان وسفنها من اخذ الخير منها مع انها متمتعة بذلك كلهِ في زمن السلم ولا تحرَم منهُ الاّ زمن الحرب · وهنالك دولة تثير حرباً لكي تضمَّ اليها بلاداً اخرى وقد لا تجد في تلك البلاد كثيرين يودون هذا الضم او تصلح امورهم بهِ · ولا دليل ولا اشبه دليل الآن على ان سكان الممالك الكبيرة الواسعة اسعد حالاً من سكان الممالك الصغيرة الضيقة · فليس للحرب سبب معقول وداعٍ موجب غير حب الحرب · ولولا تأصُّل هذا الحب في النفوس لزال منذ عهد طويل لان اسباب العمران كلها تعمل على ازالتهِ

منذ مئة سنة عُقدت الآمال بابطال الحروب وانتشار لواء السلم في المسكونة كلها · وقال الناس حينئذٍ ان الذين يثيرون الحروب اشرار همهم نزع الامن وتعطيل الاعمال وان اتساع نطاق التجارة وتبادل طرق المعاملات كفيلان بنشر لواء السلام والرخاء والاخاء

ولكن هذه الاماني زالت كاضغاث الاحلام فان اتحاد الولايات الايطالية سنة ١٨٥٩ اعاد الى اوربا روح الاثرة الوطنية وتلا ذلك اتحاد الولايات الاميركية سنة ١٨٦١ وممالك المانيا سنة ١٨٧١ ونهوض امم السلاف وتوطيد عرى الامبراطورية البريطانية فزادت النعرة الوطنية قوةً وحدة وقامت الدول تقيِّد حرية التجارة بدل اطلاقها فغالت في وضع الرسوم الجركية · وحلَّت النعرة الوطنية محل الاخاء العام واشتد السعي والجهد فاصبح كل احد يجاهد ويجالد لكي يفوق غيرهُ وصار الجد والكد عنوان الحياة · فاتسع نطاق العلوم

والاختراعات وراجت الصناعة والتجارة واشتدَّت رغبة الممالك في الاستكثار بالكسب ولو بحد الحسام · ولما زاد الضغط على النفوس الى هذا الحد انفجرت منها هذه الحرب الزبون التي هي اعظم حرب شهدها نوع الانسان وليس لها سبب ادبي كالحرب الاهلية في اميركا ولا سبب ديني كالحروب الصليبية وحروب الاصلاح ولا مالي كالحروب الرومانية ولا معاشي كبعض الحروب القديمة المسببة عن المجاعات · فان اوربا كانت في اوج مجدها وزهوها لما نشبت الحرب وقد بلغت قيمة متاجرها سنة ١٩١٣ اكثر من ثمانية آلاف مليون جنيه وقيمة متاجر الالمان وحدهم بين صادر ووارد الف مليون جنيه وقيمة متاجر الانكليز وحدهم ١٢٠٠ مليون جنيه واصدرت انكلترا تلك السنة الى المانيا ما قيمتهُ ستون مليون جنيه وابتاعت منها ما قيمتهُ ثمانون مليون جنيه · ودخول ايطاليا في الحرب دليل قاطع على ان سببها نفسي لا معاشي ولا اجتماعي

ولفهم هذا السبب النفسي يجب ان نلتفت الى تاريخ الانسان منذ اول نشأتهِ · ففي سالف الزمن نبغ العقل فظهر انهُ افعل من الناب والمخلب وامضى من الرجل السريعة والذراع القوية · وقويت قوى العقل النافعة في المعاش كالمهارة والحيلة واليقظة والتجريد والتحليل والاستنباط · ولكن هذه القوى تحتاج الى دماغ كبير فكبر الدماغ رويداً رويداً واكتسب الانسان قوة النطق ومن ثم أمست قواهُ البدنية لا تزيد لان حاجتهُ اقتصرت على دماغ كبير و يد ماهرة · ثم كاد يستغني عن مهارة يديهِ بذكاء عقلهِ ولكنهُ بقي محتاجاً الى معدتهِ وقلبهِ ورئتيهِ وما اشبه من الاعضاء اللازمة لقيام دماغهِ واستغنى ايضاً عن المطايا وتغلَّب على مصاعب الطبيعة بما سخَّرهُ من البخار والكهربائية

وسارت الاشغال العقلية في اوربا واميركا سيراً حثيثاً منذ اواخر القرن الماضي حتى لم يبقَ شأن لغير الدماغ في اشغال الانسان فاشتدَّ عناء العقل حتى كاد يزرح تحت حملهِ

انظر الى المخترعات الحديثة والمصنوعات الكبيرة والتدابير الفائقة وقدِّر لها ما شئت مما استنزفتهُ من قوى العقل كالتلغراف اللاسلكي والبوارج العظيمة والبلونات المسيَّرة والجيوش المنظمة وما يحترق المدن الكبيرة من سكك الحديد والترام في شوارعها وتحتها وفوقها وآلات السينما ونظام البريد والتلغراف وادارة المدن والشركات الصناعية والتجارية وما اشبه مما يُعدُّ منهُ ولا يعدَّد · فان هذه كلها اشتغلت بها العقول واستنزفت فيها قواها · فتعب الدماغ وكاد يكلُّ · وقوَّتهُ متوقفة على قوة المعدة والقلب والرئتين لكن الطبيعة اسرعت في انمائهِ وافرطت فيهِ قبلما تقوي هذه الاعضاء فيعتريها الخلل والملل وتعجز عن امداد الدماغ بالقوة اللازمة والافراط يدعو الى التفريط والتعب يستدعي الراحة فما كان من الجُهد العقلي في

اميركا انفى الى التلهي بالرقص والصور المتحركة وركوب الاوتوموبيل والتباهي بحلى الماس. فاستراحت ادمغة الناس من عنائها وعاد التوازن اليها لانهم عادوا الى لطرتهم الاولى حينما كانوا يرقصون ويطفردن ويتباهون بالحلى والحلل. اما سكان اوربا فطلبت عقولهم الراحة بالعود الى عمل آخر من اعمال الفطرة وهو القتال وسفك الدماء. وقد استغرب جمهور الناس ذلك من ممالك في اوج الارتقاء كالمانيا وفرنسا وانكلترا واما علماء النفس فلا يستغربونهُ لانهُ انتقال وقتي من حالة الى اخرى دعا اليهِ طلب الدماغ للراحة. وقد ظهر تعب الدماغ قبل الحرب بمظاهر مختلفة ففي انكلترا كثر الخلاف بين طبقات الناس حتى كاد يفضي الى حرب اهليَّة وفي روسيا اشتدَّ اعتصاب العمال حتى سدوا شوارع بتروغراد ولكن لم تكد الحرب تشهر حتى انصرفت القوى اليها فسادت السكينة حيث خيف من الحرب الاهلية وعاد الناس الى عهد البداوة حينما كانوا يضربون الطبول ويتجالدون ويتصارعون

والناس اذا ارادوا الراحة من عناء الاشغال تلهَّوا بالصيد والقنص وسباق الخيل والتحريش بين الديوك وتفرَّوا الى الحراج والغابات وصعَّدوا في الجبال وصبوا في الاودية اي نزَّهوا عيونهم وروضوا ابدانهم لكي تسكن عقولهم وتستريح ولكن هذه الراحة القليلة وهذا العود الجزئي الى الفطرة لا يكفي الامم دائمًا فتطلب ما هو اقدم منهُ واعرق اي الحرب والكفاح

فالحرب ماء طهور تتطهَّر بهِ الشعوب المتحاربة فتتأهل للعود الى السير في سبيل الارتقاء ولكنهُ لا يطهرها بازالة ادران فيها كما قال ارسطوطاليس بل باراحتها من اجهاد ادمغتها وارجاعها الى عصور الخشونة حينما كان الرجل يبارز خصمهُ وكلٌّ منهما يستعين بالهِ على خصمهِ فتستريح مراكز العقل العليا ويزول الضغط عنها

واستطرد الاستاذ بترك الى لزوم المسكِّنات كالتبغ والخمر وحينما يكثر تهييج الدماغ لاجل تسكينهِ فاذا أُبطلت هذه المسكنات كثر القلق والاضطراب. واستنتج اخيرًا ان الحروب لا تبطل الاَّ اذا استنبط الناس ما يقوم مقامها لأن الانسان لا يكتفي بالعمل والكدح بل هو ميَّال الى اغتنام المسرَّات واكتساب الفخار ولو باقتحام الاخطار

هذا وعندنا على الاستاذ بترك والذين يذهبون مذهبهُ اعتراض نراهُ وجيهًا وهو ان الاعمال التي يعملها الانسان مدفوعًا اليها بالفطرة يعملها فجأة من غير نظر وتأمُّل وهذا يصدق على الجنود حينما يخوضون غمار الحرب وعلى الامم التي تهاجَم فتهبُّ للدفاع عن نفسها اما الدول التي تثير الحروب بعد ان تأهب لها اربعين سنة كما فعلت المانيا فلا يُعقَل انها اثارتها بدافع طبيعي فيها بل قصدًا التبسط في الارض والكسب ماديًّا وادبيًّا

الاتفاق الفرنسوي الانكليزي

استحكم الخلاف بين الانكليز والفرنسويين قروناً ودارت رحى الحرب بينهم سنين عديدة وغلب الوهم على ساسة الامتين وكبارها باستحالة اتفاقها لاعتقادهم ان بين الامتين تبايناً في الاخلاق يستند الى فوارق في النسل . الا ان حركة فكرية نشأت حديثاً حسنت العلاقات بين الامتين وذللت الصعاب القائمة دون اتفاقها واقامت الادلة على ان ما ينعزا من التنافر لم يكن إلا نتيجة سوء التفاهم

نهض بهذه الحركة الفكرية اولاً الكاتب الفرنساوي جان فينو فكتب مقالات شائقة في المجلة الفرنسوية قامت عليها مناقشات بين انكار واستحسان وكان اشد الناس انكاراً لها واستهجاناً الهيئة الحاكمة في فرانسا لاعتقاد رجالها وقتئذ ان هذا الاتفاق مضر بمصالح الامة الفرنسوية التي لا تتفق على الاطلاق مع المصالح الانكليزية . ثم حذت جريدة التيمس التي تمثل الرأي العام الانكليزي وغيرها من الجرائد الانكليزية الكبرى حذو المجلة الفرنسوية فكان لدخولها تأثير كبير في الافكار وانطفأت بها جذوة البغضاء التي كانت تأجج في صدور الامة من عهد بعيد واخذت هذه الافكار تتسرب الى كبار رجال الامتين ينشطها ويغيبها الملك ادورد المحبوب على السواء في انكلترا وفرنسا والذي يذكر لهُ البلدان جميلاً لا ينسى فكان دخولهُ في هذا الميدان اقوى عامل للنجاح

وقد جمع جان فينو مقالاتهِ التي نشرها في المجلة الفرنسوية في مجلد يقع في ثلاثمائة صفحة وطبع غير مرة ونفدت نسخهُ كلها واصبح الحصول على نسخة منها متعذراً او غير ممكن وعندي نسخة من طبعة سنة ١٩٠٠

ثم عاد جان فينو الى نشر بعض تلك المقالات في المجلة الفرنسوية لانطباقها على الحالة الحاضرة فرأيت ان انقل منها ما يلذ الاطلاع عليهِ لانها تدل على بعد نظر الكاتب وعلى ان ما كانت المجاهرة بهِ تحسب جسارة واقتحاماً سنة ١٩٠٠ صار الآن حقيقة راهنة وقوة معنوية لا يستهان بها

تمهيد

تعريف الشعب الفرنسوي الانكليزي

ان مسألة الجنسية التي يرجع اليها رجال السياسة وعلماء الانثروبولوجيا في نظرياتهم تستند الى الاصول التي تفرعت منها الجنسية وعلى تلك الاصول تثبت بذور التباغض

والتنافر بين الفروع وكثيراً ما يقع ذلك من الجهل بمعرفة تلك الاصول او من غلط البحث فيها فالشعب الفرنسوي مثلاً باعتبار كونهِ لاتينيًّا يحب بغيضاً للانكليز باعتبار كونهم شعباً جرمانيًّا . والحال ان الدم اللاتيني فلا يدخل في الشعب الفرنساوي وان الشعب الانكليزي يرتبط بالشعب الفرنساوي بدمهِ وروحهِ القومية ومدنيتهِ ومصالحهِ ارتباطاً لا ينفك واذا جردنا النفس من الغايات وطالعنا التاريخ الفرنسوي الانكليزي وجدنا ان الشعبين المتباعدين لجهل متبادل بينهما يؤلفان فرعين نابتين من جذع شجرة واحدة

ان اهم ما يسترعي النظر في تاريخ نمو الشعبين هو اتفاق مصادر تمدنهما ومشابهة الحوادث التي دعت كلاً منها الى المسابقة لتفوق في ميدان الحياة المشتركة بينهما فكانا يقتتلان غالباً لا عن سوء قصد فيخدم الواحد الآخر منهما خدمات جليلة ومتواصلة كأن في تاريخهما وفي حياتهما سرًّا يحوم فوق المشاكل التي تخلقها حوادث الزمن فيقيد بقيدين من التضامن الادبي والعقلي فتوصل الشعبان بهذا التأثير المتبادل الى ادراك شخصيتهما السياسية والى اكتساب حريتهما والغاء السلطة المستبدة بهما

لا سبيل للاحاطة هنا بما قام بهِ الشعبان من الخدم والفوائد المشتركة لان ذلك يستغرق مجلداً كبيراً فنقتصر على بيان الظروف وايراد الحوادث المهمة التي عاش فيها الشعبان عيشة مشتركة كانت اساساً لاخائهما مدة قرون عن غير قصد وتعمُّد كأنَّ الطبيعة قربت بينهما ليتألف منهما زوجان منتخبان لان ما كان بينهما من التنافر كان يصدر عن اختلافات وقتية زائلة فحفظا كيانهما واستفادا من تعاضدهما المشترك بالمحافظة على ذاتيتهما اذ كان كل منها يهبُّ لنصرة الاخر وتخليصهِ من ورطةٍ او ازمة شديدة يقع فيها فتارة تقوم فرنسا لنجدة انكلترا وتارة تقوم انكلترا لنجدة فرنسا بحيث اذا حذفنا من تاريخ كلٍّ منهما صفحات الحوادث التي حصلت بتأثير الاخرى ضاع رونق تاريخ الامتين

نبذة اولى

في فضل فرنسا على انكلترا

(١) الرابطة الامتين

اعد التاريخ هاتين الامتين من نشأتهما السياسية لان تكونا متحدتين ومتفقتين لان البحر الفاصل بين غاليا القديمة وبريطانيا القديمة لم يمنع اختلاط سكانهما لان قبائل كل من البلدين

كانت لقطن الضفتين ودلت الآثار التي اكتشفت فيها على مشابهة في اخلاقها ومدنيتهما

يعرف من تاريخ السلتيين[1] انهم استولوا على ضفتي البحر واستوطنوها وتسمية بلاد الانكليز بريطانيا العظمى يرجع اليهم لانهم انحدروا اليها من البريتون ويدل على وحدة اصل سكان الضفتين ما قالهُ تاسيتوس[2] عن السلتيين الانكليز « انهم يجاريون الغاليين ويشبهونهم » ثم كثرت القبائل التي سكنت شط البوغاز الا ان السلتيين كانوا اعلى كلمة واكثر نفوذاً وقد خلفوا آثاراً مهمة لا تزال حية الى الآن

ولما هبت القبائل من جرمانيا واثارت الحرب على البلاد التي تجاورها لاحظت معاملة الاهالي في بريطانيا العظمى وفي فرنسا فالجرمانيون المعروفون بالانجل والساكسون استولوا على بريطانيا والمعروفون بالفرانك استولوا على غاليا والفرق بينهما في الكمية وليس في الكيفية لان الفرانك كانوا قليلي العدد فاندمجوا في الوطنيين وتخلقوا باخلاقهم ونسوا لغتهم الاصلية فسادت المدنية في غاليا سيراً قانونيًّا . واما في انكلترا فكان الانجلوساكسون كثيري العدد ومختلفي الطبقات فحافظوا على مدنيتهم ولغتهم وآدابهم وبقيت شقة الخلاف بينهم وبين الاهالي المغلوبين على امرهم واسعة وحلقاتهما متمكنة واضحت بريطانيا تحت خطر الزوج للنير الجرماني فجاءت الغزوة الفرنساوية بقيادة وليم الظافر بلسماً لجراحها وخلصتها من المصائب التي كانت تهدد كيانها واكسبتها روحًا جديدة هي الروح الوطنية وروح الوحدة السياسية وكانت تلك الغزوة من اهم حوادث التاريخ الانكليزي اذ منها اخذت انكلترا مصادر مدنيتها العجيبة التي وضعتها في اعلى مقام من العظمة والقوة بحيث يصح القول ان العناية الالهية الساهرة على حسن استعداد تلك الامة وقبولها للرقي بعثت اليها بعثة جديدة من الفرنساويين ليكونوا بمبادئهم وافكارهم ومدنيتهم ركنًا عظيمًا من اركان التقرب العجيب الذي كان دائمًا عرضة للخطر . ويجدر هنا ان نورد بالاختصار سلسلة الحوادث التي جرت في هذا التاريخ

بعد ممات ادورد المعترف[3] وقعت انكلترا بين فارين أو كادت تكون فريسة الجرمانيين من اهل الشمال اي السكندينافيين لان هرولد حاول ان يسترجع سلطنة كانوت[4]

---

(١) السلتيون او الكلتيون شعب قوقازي اتى من الشرق وغشي أوربا الوسطى ثم انتشر في غربها ولاسيما في غاليا وجزر بريطانيا وشمالي ايطاليا وابادهُ الرومانيون (٢) مؤرخ روماني شهير ولد نحو سنة ٥٥ ق م وتوفي في بدء ملك ادريانوس وتزوج بنت اغريكولا وحصل على كل درجات الشرف

(٣) ملك انكلترا مات بلا عقب واوصى بالملك لهرولد وهو الذي قهرهُ وقتله وليم الظافر سنة ١٠٦٦ في موقعة هاستنغس (٤) ملك الدنمارك وانكلترا توفي ١٠٣٥

فاخفق ونجا بنفسه فقام وليم دوق نورمانديا وادعى تاج انكلترا فجنّد جنداً من اهالي بريتونيا وبيكارديا ونورمانديا واتى بريطانيا العظمى فانجا وانتصر انتصاراً باهراً في موقعة هاستنجس وخلاله الملك في انكلترا

لم يقتصر فوز وليم الظافر عند حد الفتح بل نجح نجاحاً كبيراً في ما اخفق به الجرمانيون لان انكلترا عاشت تحت الحكم الفرنساوي برخاء وامتلأت الامة بالاداب والمبادئ الفرنسوية ورسخت فيها رسوخاً لا يمحى وتفاهمت الامتان وتبادلتا الحب وشربتا كؤوس الصفاء وعاشتا معاً مدة طويلة مشتركتين في السراء والضراء واخذت كل منهما عن الاخرى ما اخذ ثبتت في نسلها بكرور الاحقاب فاصبح من العبث ان تتباغضا وان تثير الواحدة على الاخرى حروباً طاحنة

والفرنسويون يحملون لغتهم الى كل ارض يطأونها فجعلوا نشرها فاتحة اعمالهم بعد الفتح فاستهوت بجمالها الانكليز وانتشرت الاشعار والاغاني الفرنساوية في طول بريطانيا وتنبهت قرائح الشعراء السلتيين فاقتفوا من سباتهم وجددوا ثوب آدابهم العزيزة لديهم وتفوقوا على العنصر الانجلوساكسوني . وانصرفت الحكومة الى التوفيق بين القبائل المتخاذلة وايدت الحكومة المركزية في البلاد فاوجدت بذلك روح الوطنية وابرأت البلاد مما حاق بها من مصائب الحروب الاهلية واخذ الفرنسويون يتقاطرون بكثرة الى انكلترا فحسن نظام المعيشة فيها كثيراً . ويستفاد من مؤرخي ذلك العصر (مثل وليم اوف مالمسبري) ان الانكليز كانوا ينفقون اموالهم على الولائم والافراح والمكرات ويسكنون المساكن الحقيرة والزرية واما الفرنسويون فكانوا يأكلون المآكل الطيبة باعتدال وترتيب ويلبسون الملابس الجميلة ويسكنون المنازل الفاخرة والنظيفة . فهذه المباينة في العادات استدرجت الانكليز الى تحسين معيشتهم والى معرفة مبادئ الوطن الاولية وهؤلاء لبوا الدعوة الى التمدن والتمدين واكتشوا مكامن قوتهم وعظمتهم

بعد ثلاثين سنة من دخول الفرنسويين البلاد انتشر الانشاء القالي وعقبه الانشاء الروائي وانشأوا بعد موت الملك يوحنا ٥٥ مدرسة وبرهنوا على افضلية سياسة وليم الظافر وحاشيته بدهاء ولطف يستحقان الاعجاب في ذلك العصر لانهم احترموا القديسين السلتيين والقديسين الانجلوساكسونيين احتراماً واحداً وكانوا ينشرون اسماء الفريقين في التقاويم السنوية فساد الاتفاق في البلاد التي ظلت قروناً عديدة مرتعاً للفتن والاحقاد

وبين فضل فرنسا وما قامت به من الخدم الجليلة للبلاد من المقابلة بين ما كانت عليه قبل موقعة هاستنجس وبعدها في القرن العاشر كانت انكلترا هدفاً للغزاة من دنماركيين

وسلتيين وساكسونيين وكل غزاة الشمال واضطر الساكسونيون سكان البلاد الاصليون ان يهجروها و يمتنعوا في الحراج ليتقوا جور الحكام الاجانب وظل الدنماركيون يحكمون البلاد مدة خمسين سنة باستبداد لا حدّ لهُ

ولما استوى ادورد المعترف على عرش اجداده لم يستطع ان يكسر شوكة البارونات الساكسونيين لانهم كانوا اشد منهُ ساعداً وكان واياهم على طرفي نقيض من حيث التربية والاخلاق فهو ربي في نورمانديا واخذ عنها الشمائل اللطيفة والمدنية الراقية واما هم فجفاة الطباع سيئو التربية والاخلاق يرتكبون المحارم الكثيرة و يأتون العيوب الشنيعة بلا رادع ولا وازع فكان يتأفف من تلك الحالة و يغض الطرف عنها مكرهاً وكان الانجلوساكسون في ذلك الوقت على غاية الجهل يندر بينهم من يعرف ان يقرأ او يكتب وكانوا يحلّون اذرعهم بالاساور الذهبية و يتبارون بها ويشمون ابدانهم بالوشامات الملونة والكثيرة الاشكال و يبذرون اموالهم على موائد الطعام وعلى الخلاعة والسكر واما الفرنسويون والنورمانديون فالمؤرخ الساكسوني يثني عليهم اطيب ثناء من حيث التربية ونظام المعيشة ويقول انهم يكرمون الغريب كالوطني ولا يستنكفون من الزواج بالساكسونيات

ثم ان الساكسونيين انفسهم كانوا راضين كل الرضى عن استيلاء وليم الظافر على عرش انكلترا ولما قام هارولد احد بارونات الملك ادورد يدّعي حق وراثة العرش لم يؤيدوهُ في دعواهُ فانبرى لهُ وليم واستفتى البابا في ذلك فحكم لهُ وبعث اليهِ بالحكم مع العلم المقدس فصارت غزوة امير نورمانديا بهذه الواسطة دينية مقدسة اثارت الحمية في نفوس الفرنسويين فهبوا من كل انحاء البلاد لتأييد ذلك الحكم المقدس الذي لا تنقضهُ الاحكام المدنية وكان النورمانديون اقلّ عدداً من سواهم لاعتقادهم بفشل الحملة واما البريتونيون فكانوا جمماً غفيراً وقد اتوا الى نورمانديا وعلى رأسهم اميرهم كونان لمقاتلة وليم فمات كونان في الطريق فانضموا الى وليم

جاء وليم انكلترا فاتحاً فكان بعد الفتح افضل الامراء واكملهم لانهُ بعد بضع سنوات وطد الملك على دعائم قوية وسن نظاماً يشبه نظام شارلمان فحل النظام محل الفوضى التي كانت في عهد الحكام الانجلوساكسون وسادت في البلاد ملكية عادلة رشيدة قوية تعضدها قوة مدربة هي قوة الكنيسة وقد بلغ نفوذ وليم حدّاً فائقاً قال فيهِ احد مؤرخي الساكسون « لو انفسح في اجلهِ سنتان اخريان لافتتح ارلندا بدون سفك دم » فقد اقام العدل ووضع المبادئ الاولية للجندية المنظمة وبنى القصور الفخمة في انحاء البلاد واعلن احترام التملك

الشخصي وبالاجمال ساد في عهده السلام في البلاد التي كانت مرسحًا للمذابح والفوضى

لا ينكر ان الفتح يخالطهُ بعض المصائب والاضرار لانهُ لا يحصل الاَّ باستعمال القوة الاَّ ان الاضرار التي وقعت من فتح وليم لا تعد شيئًا بالنسبة الى ما حصل منهُ من الفوائد ولا سيما ان توطدت بهِ اركان المملكة وتولدت القوة الانجلوساكسونية

والخلاصة ان التمدن الفرنساوي رسخ في انكلترا وظهر فيها بكل صفاتهِ وهيئاتهِ كالشعر والاغاني والقصص التاريخية والروايات الحماسية الاَّ ان الفاتحين لم يقاوموا الوطنيين ويمنعوهم من التغني باساطير اسلافهم فكانوا يعملون للتوفيق بين الفئتين والتقريب بينهما وهذا من محاسن الفرنسويين التي جعلت الوطنيين يحبونهم ويميلون اليهم

في ما كان للفرنسوية من التأثير في الانكليزية وآدابها

تمكنت اللغة الفرنسوية وآدابها في البلاد ولم ينحصر استعمالها في رجال الحكومة بل تعدى الى طبقات الشعب فكان الكبراء يحسبون التكلم بها من كمال المدنية ومن لزوميات الوجاهة واندفعت العامة الى استعمالها تشبهًا بهم فتقلصت اللغة الانجلوساكسونية امامها حتى كادت تموت واصبح من العبث صد هذا التيار لان الشعب صار يجتنب استعمالها والكتَّاب يستعيبون الكتابة بها والشرائع تكتب وتنشر بالفرنسوية وبقي الحال على هذا المنوال الى ان ملك هنري الثامن[1] . ولم يكتفِ الانجلوساكسون بدرس اللغة الفرنسوية وآدابها التي تخترق مسام الحياة العامة بل كانوا يذهبون الى فرنسا لاتمام دروسهم في جامعة باريس حتى انهم في القرن الرابع عشر كانوا اكثر عددًا من طلبة سائر البلاد

ومما سهل بنوع خصوصي فوز الفرنسوية وانتشارها ما حصل قبل الفتح فانها كانت في القرن الحادي عشر لغة بلاط الملك ادورد الملقب بالمعترف لانهُ اقام في نورماندیا سنين عديدة فغلب عليهِ استعمالها ودفعهُ حبهُ لفرنسا بان جلب عددًا كبيرًا من النورمانديين وقلدهم المناصب العالية فراجت اللغة واصبحت لغة الاشراف يتفاخرون بها ويمتازون باستعمالها عن سواهم وقد ذكر ذلك انفولتوس المؤرخ المعاصر

ان ذلك النبات المنذي نقل الى انكلترا فتأصل فيها ونما واخصب وتنوع تركيبهُ بتنوع الاقليم والتربة واصبح كل ما ينمو هناك يحتوي على جزء من الاصل الفرنسوي فهو يتخلل كل ظواهر الحياة من النظام السياسي الى الشعر الى الروايات الى الفلسفة الى العلم الى الفنون .

(١) صدر قرار من البرلمان سنة ١٣٤٢ بوجوب منع استعمال اللغة الفرنسوية منعًا فعليًا في بعض المسائل الشرعية وفي الاعمال العمومية وهذا دليل على انها بقيت تستعمل حتى القرن الثامن عشر

على ان تمكن ادب اللغة الفرنسوية لا ينتج عنهُ اضمحلال آداب امة البلاد بل كان غشاء واقيًا كثير الغناء ومتكاتفًا بالعمل مع شقيقهِ فساعدهُ على النمو التدريجي ولما كمل نموهُ استطاع ان يقوم بنفسهِ بواسطة قواهُ الخاصة وهكذا حفظ هذا الكنز في مخزنهِ واختص لنفسهِ جواهر تعاليمهِ الى ما شاء الله

وعليهِ كانت كلما ارتقت اللغة الانجلوساكسونية وتقدمت بادابها استعارت كثيرًا من العروض الفرنسوية واخذت مفردات جمة من قاموس اللغة ونقلت افكارًا ومبادئ من الأدب الفرنساوي المهذب والعامي وكانت هذه الاستعارات والملاحظ تدخل الى الغرف الانجلوساكسونية القديمة بغزارة نادرة فتحيي آدابها وتحسنها واصبحت اللغة بها غنية ومتناسقة . فادب اللغة الانجلوساكسونية في القرن الرابع عشر لم يكن شيئًا مذكورًا خلا ترجمات الروايات الحماسية الفرنسوية وكان كثيرون من الشعراء ينظمون الشعر باللغتين فيجعلون الصدر بالانكليزية والعجز بالفرنسوية وكان الكتاب الوطنيون يكسبون كتاباتهم رونقًا ويزيدونها بلاغة بتقليدهم الكتاب الفرنسويين وباستعارة اسلوبهم وافكارهم ويدخلون الكلمات الفرنساوية في ترجماتهم بمبناها ومعناها حيث ليس في الانكليزية ما يقوم مقامها او يحولونها الى الصيغة الانكليزية فيبقى فيها صدى الفرنسوية الشائق الرخيم . وقد كثر عدد المفردات المنقولة والمحوّرة الى حد كبير قال فيهِ سكيت صاحب المجموعة المشهورة ان ما اخذتهُ اللغة الانكليزية عن الاصل الفرنسوي واللاتيني هو مضاعف ما اخذتهُ عن الجرمانية . وقال هيوم في كتابهِ تاريخ انكلترا ان قسمًا كبيرًا من اللغة لو اجمل ما فيها من اساليب التعبير مأخوذ عن الفرنسوية . فحاجة الانكليزية الى الاخذ عن الفرنسوية مهدت لها سبيل البساطة وجعلتها لغة سهلة المراس وقريبة المنال وجعل فيها مرونة تأثيرة المثال واكسبها قوة كبيرة للنمو والاتساع فاقتصرت في صرفها ونحوها على اسهل اسلوب للتعبير وجعلت كل ما هو ذكر مذكرًا وكل ما هو انثى مؤنثًا وما ليس كذلك مجردًا اي لا مذكرًا ولا مؤنثًا واهملت تصريف النعوت واضافت الافعال المساعدة الى تصريف الافعال فاصبحت جلية وسهلة وزادت موسوعاتها كثيرًا حتى عدت اغنى اللغات مفردات . وانها قرض الشعر فامتاز بهِ الانكليز في بدء اشتغالهم بهِ الا ان افكارهم واساليبهم كانت تتجه دائمًا الى الشعر الفرنسوي فتشابه الشعران من كل الوجوه ما عدا اللهجة التي تميز اللغة الواحدة عن الاخرى حتى ان لغة شاكسبير وبيرون لم تبلغ ما بلغت من المقام السامي من حيث المتانة وحسن التعبير الا باستعارة الالفاظ الفرنسوية واقتباس اساليبها التي لا تماثل

فالشعراء والكتاب الانكليز مدينون بهذه النهضة لزملائهم الفرنسويين بحيث يرجع لذهنهم في كل عبارة يكتبونها او في كل كلة يسمعونها ان ذلك اثر من آثار الفرنسويين مؤسسي نهضتهم

(٣) امتزاج الروحين

على ان تأثير الفرنسويين الذين اتوا مع الدرق وليم الى انكلترا لم يقف عند هذا الحد لان الشعبين امتزجا امتزاجاً تامًّا فاخذ كل منهما عن الآخر ما اخذ توارثتها الاعقاب وحفظتها قروناً عديدة جريًا على ناموس البيولوجيا لان الارملة اذا تزوجت وولدت اولاداً ظهر فيهم بعض المشابهة لزوجها الاول . فالحياة المشتركة تؤثر في اعضاء وتحدث فيها تنوعات مهمة فلا بد من ان امتزاج الروحين الفرنساوية والانجلوساكسونية قروناً عديدة قد فعل فعلهُ من هذا القبيل

تلطفت الاخلاق القومية وتقاربت الاميال واتحدت الافكار واصبح الشعبان بتأثير الوسط والحوادث التاريخية شعباً واحداً بالظاهر ومالا غريزيًّا الى الاتحاد والاتفاق التامين

ويستفاد مما ذكر آنفًا ان الاتفاق الانكليزي الفرنسوي وان يكن حصل بظروف الفتح الغليظة فنتائجهُ كانت ملائمة لمستقبل انكلترا اذ به ادركت قوميتها وحسنت لغتها وشعرها وعرفت القواعد الجوهرية لمدنيتها المستقبلة

وما خلا ذلك فقد افادها هذا الفتح فائدة كبرى من حيث مساعدة الجند على اعطاء الحرية التامة للاهالي وتمتع الشعب باستقلالهِ المدني

(٤) منافع الغزوة النورماندية

جرى وليم على خطة الفاتحين فوزع اراضي انكلترا على فرسانهِ واخصائهِ وفرض عليهم فروضًا اخف من الفروض التي كانت على اتباع ملك فرنسا فضعفت بهم شوكة البارونات واصبح البارونات الانكليز في القرن الحادي عشر اضعف من بارونات اوربا الذين كانت تنتقل اليهم السلطة في المقاطعات بحق الارث ووضع اليد فكانوا اقدم سيادة واكثر تفوذاً من ملوكهم فادى هذا الضعف الى نتيجة مهمة في تاريخ انكلترا لانهُ كان يحول دون خروجهم على ملوكهم ودون اتفاقهم على الثورات التي يثيرونها ويضطرهم الى طلب المساعدة من الوطنيين والفلاحين واذا احرزوا نصراً عاد الفضل فيهِ الى تلك المساعدة فادركت العامة حينئذٍ حقوقها الشخصية والمدنية واضطر الاشراف الى التساهل للاتفاق معها فاتفقت الفئتان على مطالبها اتفاقاً غايتهُ الاولى مصلحة الاشراف وفائدتهُ الكبرى عادت على الشعب . وفي سنة

١٢٦٩ ارسل الاشراف دعوة صريحة لسكان المدن والقرى ليدافعوا عن حقهم المشترك فادرك الشعب اهميتهُ في ادارة المملكة وعرف ما لهُ من القوة والفائدة وادرك بنوع خصوصي حقوقهُ المدنية فصار يراعيها ويحافظ عليها ويشتغل على الدوام للتوسع بها وهل غيزو ان الحقوق التي نضت ان تقيم في انكلترا حكومة حرة قد عرفت معرفة تامة سنة ١٣٠٠

وتبين الفوائد التي حصلت عليها انكلترا من هذا المركز الخصوصي المدينة بهِ للاحتلال الفرنسوي من المقابلة بين تاريخها وتاريخ فرنسا . ففي اوربا كانت هوة عميقة تفصل بين الاشراف والعامة واما في انكلترا فكانت الامة عبارة عن مجموع من الوطنيين الاحرار تحت سلطة رسمية للاشراف وكانت الامتيازات الاجتماعية فيها امتيازات ظاهرية لا تأثير لها في جوهر الحرية . واما في فرنسا فانقضت قرون عديدة قبل ان يصل الشعب الى هذا المركز الذي كانت تتمتع بهِ جارتها انكلترا وسنرى فيما يأتي ان الثورة الكبرى التي يفاخر بها الشعب الفرنسوي انفجرت وتكللت باكليل النصر بفعل التأثير الانكليزي . وبما ان انكلترا سبقت فرنسا باكتساب الحرية قروناً عديدة كان لهذا السبق تأثير جوهري في تكوين الخلق الانكليزي وبهِ تمتعت ثقتهم بوصاية الحكومة ورسخت فيهم الصفات العالية من الذاتية والثقة بالنفس وعلى عكس ذلك كان الفرنسويون فقد رضخوا عهداً طويلاً للتقيد الشديد فضعفت اخلاقهم وانحطت فيهم روح المعرفة والتقدم

وكفى بهذه الحوادث دلالة على قيمة اختلاط الشعبين السياسي لتكوين الخلق الانكليزي وتأثير هذا الخلق فيما بعد على الخلق الفرنسوي

(٥) نمو القرائح الانكليزية

قلنا سابقاً ان اداب اللغة الانكليزية نشأت تحت تأثير اللغة الفرنسوية ونقول هنا انها نمت وارتقت تحت هذا التأثير لان تشوسر نفسهُ الذي يتسبون اليهِ الفضل بتحرير لغة وطنهِ من التأثير الاجنبي انما غذى عقلهُ بكتابات الكتاب والمفكرين الفرنسويين وكان اعجابهُ بهم كبيراً . والروح الفرنسوية تتخلل كل كتاباتهِ . وكل المواضيع التي طرقها مواضيع فرنسوية واجمل ما فيها مأخوذٌ عن رابله وموليير . ويقول بعض المنتقدين ان ذوق تشوسر الفرنسوي ولغتهُ الفرنسوية الانكليزية خاصان بهِ فردٌ هوايت الذي جمع مؤلفات ذلك الشاعر العظيم على ذلك بان لغة تشوسر لم تكن لغة ذلك العصر والا لما حسب افضل شاعر وطني واجود كاتب ظهر في العصر المتوسط

اذا ضربنا صفحاً عن الكتابات التي صدرت في عهد تفوق اللغة الفرنسوية وامتزاج

الانكليزية بها امتزاجاً تاماً والتفتنا الى الكتابات الانكليزية المستقلة حيث ظهر ادب اللغة باعلى مظاهره وجدنا اثراً عظيماً واضحاً للاستعارة في اوسع الكتاب شهرة واوقدهم ذهناً واذكاهم قريحة كشاكسبير وغيره من فطاحل الكتاب الانكليز الذين ما فتئوا يأخذون عن فرنسا ويستفيدون من محاسن تمدنها

استعار شاكسبير[1] كثيراً من فرنسا وارتوى شعره من نبع فرنسوي فزاد به متانة ورقة شعور . ومجموعة تأليفه السامية والخالدة تدل على مرحلتين من حياته العقلية تنتهي الاولى وتبتدئ الثانية بعد وقوفه على ترجمة مونتاني التي ابهرته وخلبت لبه وكأن شعاعاً الهياً صدر منها فانار طريق حياته وفتح امام قريحته الوقادة المشاهد الكبيرة والمتسعة فغاص فيها بشغف وابرز تأليفه الخالدة التي استحق بها ان يكون شاعر الناس كلهم على الاطلاق . قال فيلارت في كتابه (تاريخ الكلتيرا في القرن السادس عشر) «ان شاكسبير منذ ذاك انقلب انقلاباً تاماً فكان يقلد اولاً بترارك واريوست وبعد ١٦٠٣ عدل عن اخذه عن ايطاليا وعن السجع المتراصف واخذ مونتاني يتخلل اوثلو وهاملت وكورلايون » وحاول جاكوب فيس الالماني ان يبرهن على ان هملت ليست الا مونتاني كملت فيها ظواهر الحياة واثبت جون روبرتسن في كتابه (المقابلة بين شاكسبير ومونتاني) ان مبادئ مونتاني اثرت تأثيراً كبيراً في حياة شاكسبير الخاصة وسيرتها على مبادىء الكاتب الفرنسوي

انتخب شاكسبير بذكائه المتوقد افضل الحكم واشرف المبادىء وادخلها في تأليفه ففي رواية « العاصفة » مثلاً ترجمة تامة لشذرة مشهورة لمونتاني وهي كانيبال وما عداها فان المبادئ والافكار التي اثارت حمية باسكال وجان جاك روسو هي نفسها فعلت في شاكسبير واثرت في تصوراته

ويقول سنت بوف ان كثيرين من الكتاب الانكليز اخذوا عن مونتاني ومنهم السير توماس برون الذي كان له اوسع شهرة في آداب اللغة الانكليزية في القرنين السابع عشر والثامن عشر

وهنا افاض المؤلف في مآخذ السير توماس برون وغيره من مشاهير الكتاب الانكليز مما لا يخرج عن حد ما سبق عن شاكسبير ولا يهم قراء العربية الوقوف عليه لانه يتكلم على المقابلة والمقارنة بين آداب اللغتين مما تهم معرفته اصحابها فضربنا صفحاً عن نقله

(١) اعظم واشهر شاعر انكليزي واعظم روائي هزلي (دراماتيك) (١٥٦٤ — ١٦١٦) له ٣٦ رواية من اشهرها روميو وجوليت وهملت وماكبث واوثلو

ويقال بالاجمال ان مشاهير الانكليز من كتاب وعلماء وفلاسفة كانوا كثيري الاعجاب بمدنية فرنسا وآدابها وسلاسة لغتها وحسن اسلوبها وبيانها واقتدار كتابها ومؤلفيها كمونتاني وجان جاك روسو وباسكال وراسين وموليير وكثيرين غيرهم فكانوا يحتذونهم باساليبهم ويحفظون عباراتهم وتعابيرهم بنتف من التعابير والعبارات الفرنسوية وظل الذوق الفرنسوي سائداً في انكلترا حتى حكومة الرستورايشن لان الاشراف الذين طردهم كرومويل لجأوا الى فرنسا واقتبسوا ما فيها من المبادىء والافكار حتى ان بلاط تشارلس الثاني كان فرنسوياً اكثر منهُ انكليزياً. وقال تاين في كتابهِ (تاريخ آداب اللغة الانكليزية مجلد ٣) ان المؤلفين الفرنسويين اساتذة يتداول مؤلفاتهم احسنُ مخرجي الانكليز. وتتم كتابات ذلك العصر على صدق ذلك. ومن ثم فقد كان اصحاب الكياسة والتأنق يميلون الى الظهور بالمظهر الفرنسوي الخالص

(٦) الصداقة والاعجاب المتبادلان

اتفق الكتاب ورجال الحكومة والفلاسفة والفنيون على المنافع التي نجمت من الاتفاق الاخوي بين التمدن الانكليزي والروح الفرنسوية لانهُ لما زالت الغايات التي كانت تلقي غشاوة على الروح الوطنية عبر المانش وتغرس الحزازات في النفوس اعترف بجميل فرنسا حتى صار وردسوارث الشاعر لا يجاب الاسقف وطسن بل يونبهُ على تحاملهِ على فرنسا فقال فيهِ انهُ «اطلق سهماً على الحرية والفلسفة اللذين هما عيون النسل البشري» وقال في تغلب الفرنسويين على الانكليز «ان الانسانية التي في فرنسا انتصرت على انكلترا التي ليست الا جزءاً منها» ولغيرهِ من كبار شعراء الانكليز اعجاب كاعجابهِ بفرنسا تدل اقوالهم على ما كان لفرنسا من الاثر الجميل الذي تحفظهُ الامة الانكليزية

فالتفاني بهذه الشعائر الشريفة كان لهُ صدى شديد واثر حسن في فرنسا لان الروح الانكليزية التي بلغت حد الغلو بالتأثير الفرنسوي انتقلت الى فرنسا في القرن الثامن عشر فوجدت بيئة حسنة الاستعداد لقبولها برغبة شديدة فسار الانكليز والفرنسويون من جانبي البحر مع تيار تلك العواطف التي كانت مدة طويلة ثم انفجرت انفجار السيل العرم فهدمت السدود والحواجز الصناعية وبلغت حدودها الصحيحة فتمكنت الروح الانكليزية في فرنسا وطبعت على حياة الامة رسماً لا يمحى

فامتزاج هاتين الروحين هو ظاهرة من ظواهر اتحاد تمدن الامتين ومن اهم حوادث القرن الثامن عشر. وسنأتي في المقالة التالية على مآثر انكلترا وما استفادتهُ فرنسا منها

الدكتور امين ابو خاطر

فاتحة الحرب

(تابع ما قبلهُ)

ثم دخل ولي العهد فقال لهُ الامبراطور ما رأيك يا ولدي في ما هو جارٍ الآن

ولي العهد — ليس امامنا سبيل آخر يا ابي ولا بدَّ من الحرب فان البلاد كلها راغبة فيها متشوقة اليها ولا يحسن بنا ان نصبَّ ماءً بارداً على ما نراهُ من الحماسة . اسأل من شئتَ فلا تجد الاَّ قولاً واحداً الحرب الحرب . لا اظن يا ابتِ انك تعتقد ان بوانكاري ذهب الى بطرس برج في زيارة بسيطة . ارسل الروس يستدعونهُ اليهم وما فرنسا الآن الاَّ آلة في يد روسيا والوزراء الفرنسويون تحت اوامر ايسفولسكي[1] فاذا هددهم بغضب القيصر خرُّوا لهُ الى الاذقان

الامبراطور — الفرنسويون شعب منحط

ولي العهد — نعم ويحتاجون الى حاكم مثل نبوليون

الامبراطور — وهذا شأن كل الناس يا ولدي . ولكن هب ان انكلترا انضمت اليهم

ولي العهد — هذا محال انكلترا تكتفي بالاحتجاج واحتجاجها لا يكون بشدة بل بلطف على جاري عادتها ثم تكتسب من بعدنا كل ما تحتاج اليهِ لقهر حلفائها . هذه هي الخطة التي جرت عليها سنة ١٨٧٠ وهي تستفيد دائماً من مصائب غيرها . ومتى قهرنا فرنسا وروسيا نعقد مع انكلترا محالفة بحرية على اميركا واليابان

الامبراطور — انك تجهل انكلترا ولا تعرفها كما اعرفها انا فاني افهم طباع الانكليز واشعر كأني واحد منهم واخاف من ان انكلترا تجرُّ الى هذه الحرب كرهاً لالمانيا وخوفاً منها

ولي العهد — لا اظن انها تفعل ذلك فانها مشغولة بمسألة «الصتر» وعندنا تقارير قناصلنا ولو قرأتها يا ابي لوجدت ان نار الثورة تضطرم في ارلندا يوم تخرج الجنود منها . انكلترا مغلولة اليدين لا تستطيع ان تبدي حراكاً فقد قال لتشنوسكي[2] في تقاريره . . .

وقبل ان يتم كلامهُ عبس الامبراطور فظن ولي العهد ان اباهُ غضب لانهُ اطلع على تقارير السفير فتوقف لحظة ثم قال اسمع لي يا ابي ان اتمم كلامي ان لتشنوسكي يقول ان الناس هناك واقفون على اسلحتهم ينتظرون اشارة وان كارسون[3] ناوٍ على استعمال القوة وان

(١) سفير روسيا في باريس (٢) سفير المانيا في لندن (٣) زعيم حزب الصتر في المانيا

الارلنديين الحقيقيين يتوقعون الساعة التي تسقط فيها انكلترا حتى يتحرروا من نيرها ولذلك يمكننا ان لا نحسب لانكلترا حساباً

الامبراطور — ألا يمكن ان تأتي الامور على ضد ما نقول وتنتظر ألا يمكن ان تجد انكلترا في هذه الحرب وسيلة التخلص من المسألة الارلندية . انا اعرف الارلنديين واعرف انهم اذا سمعوا بوقع الحرب كانوا اول من يبادر الى سلاحه . فقد يكون الانكليز اغبياء وجهلاء ولكنهم لا يجهلون مصلحتهم واذا تصدى لهم عدو اتحدوا عليه حالاً

ولي العهد — اني اعرف انكليز هذا العصر اكثر مما تعرفهم انت يا ابي لانك انت تعرف انكليز الجيل الماضي . اما انا فاعرف انكليز الجيل الحاضر الانكليز الذين يحكمون الهند مثلاً وقد عاشرتهم واصطدمت معهم وسكرت معهم وهم على غاية الظرف لا اعرف اظرف منهم . ولو خيّرت لاخترت ان يكون كل رفاقي من الانكليز فاني اشعر وانا معهم بطمأنينة لا اشعر بها وانا مع الالمان . ولا اقدر ان اساير الالمان كما اساير الانكليز لان الالمان يتعدون حدودهم حالاً فانا شخصياً اود الانكليز ولا اكرههم ولكنهم هم والارلنديين اعداء الداء بعضهم لبعض فان ارلندا للانكليز مثل الالزاس وبولندا لنا . ويقول الارلنديون انهم ان لم ينالوا الاستقلال الاداري الآن فلا سبيل لهم ان ينالوه في وقت آخر . ويقول أهالي الصقر انهم ان لم ينالوا مطاليبهم الآن فلا ينالوها في وقت آخر ولكشتوسكي واثق تمام الثقة انهُ لا بدَّ من حرب اهلية في انكلترا

الامبراطور — قد يكون مهيباً ولكن هل تعلم ان الحرب بين دول اوربا الآن تقضي على المغلوب منها قضاء مبرماً واننا اذا خضنا غمار هذه الحرب اضطررنا ان نتخلى عن كل قوانين المروءة والعدل وعن كل الوعود والعهود في سبيل استئصال اعدائنا . هل فكّرت في ذلك

ولي العهد — نعم فكّرت فيهِ ورزئتهُ

الامبراطور — واذا كان الفوز لنا اخيراً فما اكثر البيوت التي تلبس الحداد وما اشد البغضة التي تنشأ لنا في صدور امم الارض ألا تعلم ان غلطة واحدة قد تضطرنا الى مداومة الحرب سنة وسنتين واكثر ومع ذلك فقد تدور الدائرة علينا اخيراً

ولي العهد — نعم قدَّرت ذلك كلهُ

الامبراطور — هل فكّرت في ان القوزاق قد يجتاحون بلادنا ويعيثون فيها فساداً فتدمَّر مدننا وتخرب قرانا ويقتل سكانها وينهب كل ما فيها

ولي العهد — نعم فكّرت في ذلك كلهِ وقدَّرتهُ ولكن لا بدَّ لنا من الفوز يا ابي فان

الفرنسويين غير مستعدين مطلقاً وهذا امر معروف مشهور فنصل الى باريس قبلما تتم روسيا تعبئة جيوشها اما انكلترا فلا حساب لها لانها لا تدخل هذه الحرب . ومهما كان رأيك يا ابي افلا تظن انهُ يحسن بك ان تستشير في كابنك الذي سيخلفك

بصمت الامبراطور قليلاً ثم يقف ويضع يدهُ على كتف ابنهِ ويقول لهُ اعلم يا بُنيَّ انني اذا خرجت من هذه الحرب منصوراً حفظ لي التاريخ اسم رجل مخرّب سفاك للدماء كما نيلا واذا دارت الدائرة عليَّ فانك لا تملك بعدي

ولي العهد — لا يمكن ان تدور الدائرة علينا

ثم يخرج الامبراطور ويدخل بعدهُ اتنج (بكرتيرهُ الخصوصي) فيقول لهُ ولي العهد لقد تم الامر على ما نريد

اتنج — عسى ان لا يصيب اسطولنا شيء في طريقهِ

ولي العهد — الاسطول خرج من مجار بروج امس فلا يسلم من الخطر الاَّ غداً . لو كانت قيادة الاسطول الانكليزي في يدي لارسلت جانباً منهُ يرابط في مضيق سكاجراك (في الدنمرك)

اتنج — ان اغفال انكلترا عملاً طفيفاً مثل هذا يدلُّ على انها متربصة بنا شرًّا ومنتظرة جلائل الاعمال

ولي العهد — اهلاً وسهلاً بها . قال ذلك وخرج وجعل اتنج يرتب الاقلام والاوراق

المنظر الثاني من الفصل الثاني

الوقت ليلاً بعد ٣٦ ساعة مما ذكر قبلاً . يدخل ياور مكتب الامبراطور وينير المصابيح الكهربائية ثم يدخل الحر اتنج ومعهُ صندوق الرسائل ويجرّب الاقلام ويخرج من سلّة الاوراق المهملة الورقة التي كان قد مزقها من الروزنامة ويلصقها بها وتاريخها ٢٨ يوليو وتظهر عليهِ امارات الاضطراب ثم يُفتح الباب ويدخل الامبراطور فيقول لاتنج اكتب تلغرافاً اكتب . ثم يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وهو يقول اللهمَّ عفوك اللهمَّ عفوك الحرب على الابواب لعنة الله على الحرب . اكتب « الى صاحب الجلالة الامبراطورية القيصر نقولا »

اتنج — لم تنسوا جلالتكم انكم امرتم ألاَّ يعمل عمل الاَّ بعد ما يجتمع المجلس الحربي غداً حينما يرجع ولي العهد واني التمس العفو من جلالتكم لاني ذكَّرتكم بأوامركم

الامبراطور — اصبت يا اتنج ولكنني عارف ما انا فاعل فقد يأتيني جواب القيصر غداً صباحاً قبل اجتماع المجلس فاوقف هذه الحرب الملعونة ولا يليق بنا ان نترك وسيلة مهما

كانت اكتب . «ولقد همني ما بلغني» الاحسن ان تكتب «لقد همني جداً ما بلغني عما ترتب على ما فعلته النمسا والمجر بالسرب . فان التهييج المفرط الذي قام في السرب منذ بضعة ادى الى هذه الجناية الفظيعة على الارشيدوق فرنز فرديند» . كلاَّ كلاَّ بل اكتب «الجناية الفظيعة وهي اغتيال الارشيدوق» . لقد كان نعم الرجل يا انج غير ما يظن به لاول وهلة لم اصدق هذا الخبر حينما سمعته . كنت اخطر في مرفا كيل حينما بلغني الخبر فوضعت التلغراف في جيبي ونسيته الى ان حان وقت الغداء وحينئذٍ تمثلت لي الجناية بكل فظاعتها . هو وزوجته هو رجل نعم الرجل لو بقي حيًّا لكان اصدق صديق لامته ولي وهي امرأة على غاية الحشمة والظرف . لقد كان اغتيالها من اقبح الفعال البربرية يا انج . هؤلاء السربيون اردأ الجنس السلافي كله . كل ما لهم نالوه بالقتل وكلهم قتلة ولذلك لا اعجب من ان قرنيس يوسف ساخط عليهم وقد تحسن حالهم اذا كانت لهم حكومة شديدة ولقد اغتالوا ملكهم قبلاً على اسلوب تقشعر منه الابدان ولا بد من الاشارة الى ذلك اكتب . «ان النعرة التي جعلت السربيين يقتلون ملكهم وملكتهم لا تزال في البلاد» هذا الكلام يؤثر في نفوسا . من قال ان الدستور الروسي استبداد يضعفه الاغتيال ولقد اثبت السربيون ذلك مهما كان نوع الحكومة وقد يقتلون نفولا ولو انه منهم مجلس الدوما اكتب . «لا شك انك توافقني اننا نحن كلنا . . . » مرادي الملوك كلهم لان لنا مصلحة مشتركة تقضي علينا بان نعاقب كل الذين لم يد في هذه الخيانة الفظيعة العقاب الذي يستحقونه

الاحسن ان اذكر شيئاً عن امیال السلاف الى السرب اكتب «ومن الجهة الاخرى لا استخف» كلاَّ بل قل «لا اغضي» كلاَّ كلاَّ لا استخف افضل «المصاعب التي تلاقونها في مقاومة الاميال» كلاَّ بل قل في مقاومة التيار وهذه لا تصلح . ضع هنا الكلمة المناسبة «نحو العاطفة الجنسية» وهذه ايضاً لا تصلح قل «في مقاومة الرأي العام» ولا اظن ان في روسيا رأياً عاماً ولكن في ذلك شيئاً من التملق لسازنوف[1] ولا بدَّ من الاشارة الى صداقتنا فقل «ونظراً الى الصداقة القديمة القلبية التي بيننا فاني ساتوسَّل بكل ما لي من النفوذ لاقنع قرنيس جوزف» . كلاَّ هذا لا يناسب قبح الله ذلك الحمار تسرا[2] فانه هو سبب كل هذه المشاكل فقل «في اقناع حكومة النمسا والمجر حتى تتفاهم مع روسيا تفاهماً يرضيها» ويرضيني انا ايضاً هذا يكفي كلاَّ كلاَّ قف زد على ذلك «واني ارجو واثق انك تعضدني في مساعيَّ

(١) وزير الخارجية الروسية
(٢) رئيس وزارة المجر

للتغلب على كل المصاعب التي يمكن ان تنتج . صديقك وحليفك المخلص الامين » واكتب التوقيع « ولي[1] »

اكتب هذا التلغراف وارسلهُ باسرع ما يمكن والآن الساعة نصف بعد العاشرة فيقرأهُ الليلة و يأتينا جوابهُ غداً صباحاً . قم عاجلاً

يخرج اتنج من الغرفة و ينادي الامبراطور قائلاً اتنج اتنج فيعود فيقول لهُ ارسلهُ بالحروف العادية لا بالشفرة وليقل الناس معها قالوا

الفصل الثالث

في ٣١ يوليو

في برلين في مكتب الامبراطور وهو مثل مكتبهِ في بوتسدام

ياور اول — قضي الامر وصار الرجوع مستحيلاً وسنذهب الى باريس هذه النوبة حالاً

ياور ثانٍ — الفضل لوليم الصغير فانهُ هو الذي مشّى اباهُ فقد كان العجوز[2] عاقداً نيتهُ على حفظ السلم ولكن الجدع[3] والحمين[4] وابو سيقان[5] اقنعوهُ وظني ان الاثنين والاربعين[6] كان حجتهم الكبرى

الياور الاول — انا اجهل الامور المدفعية ولكن هل هذا المدفع هو غتز او كروب

الياور الثاني — من الاثنين ولكن الامر سرٌّ غامض فلا تذكر كلمة لاحد في هذا الموضوع فان المانيا مملوءة بجواسيس الانكليز . ومعملة اولاد الجدع منهم وكل المعلمات في البيوت منهم والحكومة الانكليزية تدفع اليهم الرواتب ولذلك يخدموننا باجرة طفيفة وهنَّ مثل نساء الروس يضعنَ اصبعهنَّ في كل شيء وكلهنَّ من الجواسيس بالطبع اما نساؤنا فلا يصلحنَ الاَّ للشغل والكسب

الياور الاول — اخرس

الياور الثاني — نعم نعم والمسألة دقيقة ساحني نعم المسألة مهمة جدًّا

يدخل اتنج و يضع صندوق المراسلات على المكتب و يجرب الاقلام و يقول للياور لا داعي للانتظار لان جلالتهُ آخذ الآن في اعداد خطبتهِ (يقول ذلك بصوت فيهِ شيء من التهكم) وسينطق بها من شرفة القصر بعد بضع دقائق

---

(١) اختصار لاسم وليم يستعمل بين اهل البيت الواحد للتحبب (٢) Der Alte كناية عن الامبراطور (٣) Der Kline كناية عن ولي العهد (٤) كناية عن ملكي رئيس اركان الحرب (٥) كناية عن الاميرال تربتز (٦) كناية عن المدفع الذي قطرهُ ٤٢ سنتيمترًا

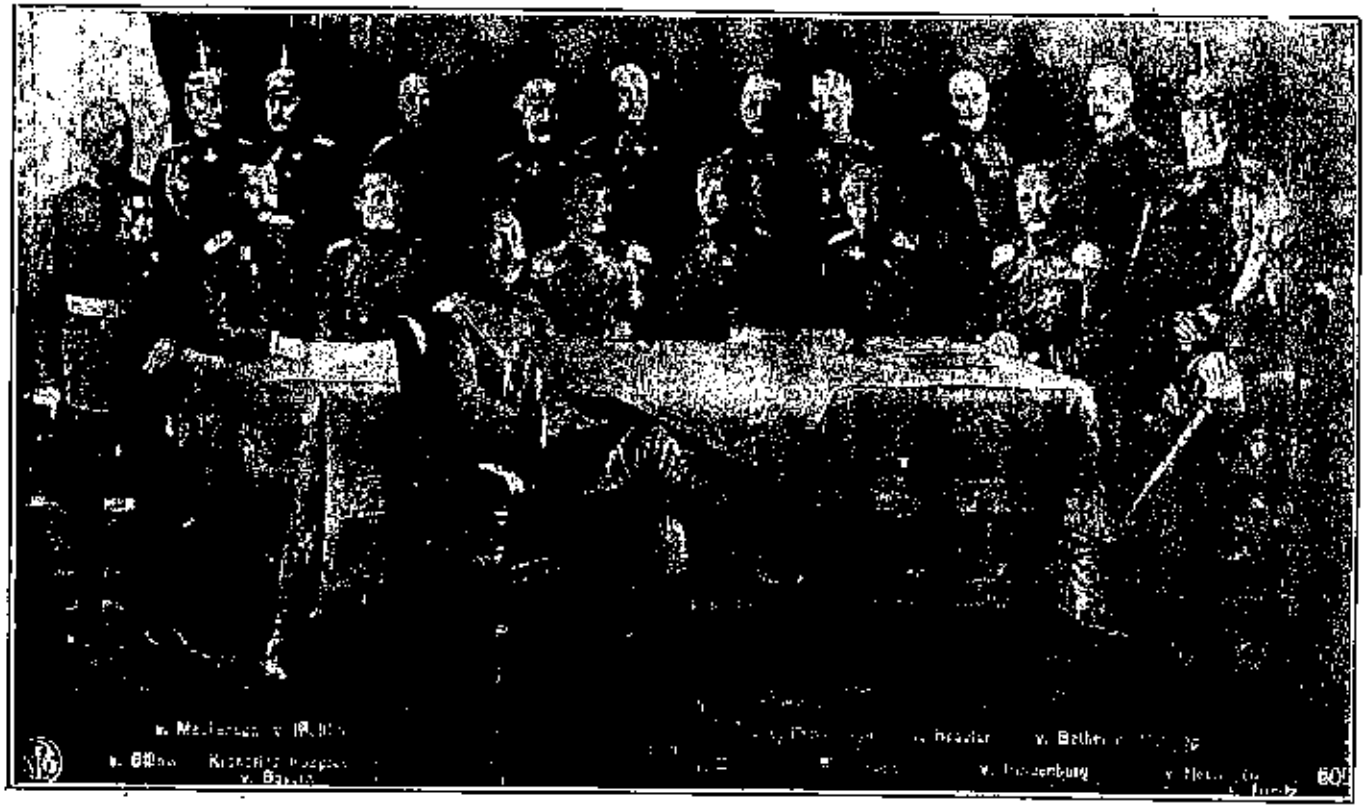

امبراطور المانيا واركان دولته الذين زجّوا اوربا في هذه الحرب

مقتطف اكتوبر ١٩١٥
امام الصفحة ٣٣٦

فيخرج الياور ويفتح اتنج الشبابيك واذا اصوات جماهير كثيرة خارج القصر ثم يدخل الامبراطور و يقول متهللاً الحمد لله يا اتنج هذه اسعد ساعة في حياتي فاني اسمع صوت شعبي كموج البحر صوت المحبة لامبراطورهم صوت الشعب صوت الله Vox populi vox Dei ما اصح هذا القول ثم تدخل الامبراطورة و يتعانقان هي والامبراطور ويقول لهُ « لا تقدر ان تتصور مقدار حماسة الشعب فان الساحات ملأى بهم والشوارع ملأى وكلهم حاسرون (كاشفون رؤوسهم) كأنهم في بيت الله

ثم يسمع صوت جرس التلفون فيأخذ اتنج السماعة و يضعها على اذنهِ و يقول لا حول ولا قوة

الامبراطور — ما الخبر

اتنج — هوذا السماعة يا مولاي

الامبراطور — هي — منذ ساعتين — اين انت الآن — تعالى حالاً . ثم يضع السماعة و يشير الى اتنج فيخرج

الامبراطورة — ماذا قال

الامبراطور — ساخبرك بعد قليل . حفظتُ خطبتي وهي مختصرة جداً اسمعي . « وحانت الساعة قام الحسّاد علينا من كل ناحية يضطروننا للدفاع عن انفسنا . وضع السيف في يدنا رغماً عنا ولا نزال نبذل المساعي لحل خصومنا على التعقل وحفظ السلم فاذا لم تفلح سعي ذلك فلا نغمد هذا السيف باذن الله الاَّ مشرّفاً . الحرب تكلفنا الكثير من الرجال والاموال ولكننا سنغري اعداءنا ما هو معنى التهجم على المانيا

« والآن استودعكم الله اذهبوا الى كنائسكم واركعوا امام العزّة الالهية واطلبوا منها الغوث والنصر لجيشكم المظفر »

الامبراطورة — احسنت يا وليم احسنت

ثم يخرج الامبراطور والامبراطورة ويخاطب الامبراطور في الجمع ويسمع صوتهُ من وقت الى آخر وهتاف الشعب لهُ . وبعد قليل يدخل وزير الامبراطورية بتمن هلفج و يدخل الامبراطور ايضاً وهو ممتقع فيصافحهُ و يقول له فات الوقت وقضي الامر

الوزير — كلاَّ يا مولاي

الامبراطور — فات الوقت يا بتمن فانهُ لا حق لنا ان نسلّم الاَّ برضاي فات الوقت الآن فات الوقت . لان الله تلك الساعة لم يبقَ في بدنا شيء . حتم ان تكونوا في

البيارستان كلكم . ولقد خدعني نقولا وتشرسكي[1] ورفاقهُ خدعوني كلهم وبرشتولد[2] حمار . مضى وقت التكلم في الصلح الآن يا بتمن ألا ترى هذه الجموع المحتشدة اتظن اننا نستطيع ان نخجم بعد ان اقدمنا وتحدّينا الدول كلها . يعلم الله اني بذلت جهدي في منع الحرب ولو قمت بما يجب عليَّ نحو بلادي والعالم لقتلت كل واحد من هؤلاء الحمق اما الآن فقد فات الوقت وقضي الامر

ثم جلس ووضع كفهُ على عينيهِ وقال

كان السلم غرضي يا بتمن اما الآن فصار غرضي الحرب فقد طفح السرور على قلبي لما سمعت اصوات الهتاف تتصاعد وعلمت ان شعبي كلهُ يؤيدني . هذا صوت الشعب صوت الامة الالمانية لرئيسها وزعيمها . فقضي الامر يا بتمن هذه مشيئة الله وهو يتكلم بلسان شعبهِ ولا بدَّ لي من الطاعة فكأني اسمع الحق سبحانهُ يقول اني قدَّرت للامة الالمانية ان تسود المسكونة وجنودها هم جنود شعب الله المختار ولا بدَّ لهم من ان يقهروا خصومهم و يضعوا المانيا في المقام الاول الذي تستحقهُ بين الامم . والآن يا بتمن امرت وآمرُ باعلان الحرب . اعط هؤلاء الروس الكلاب فرصة اثنتي عشرة ساعة ليصرفوا جيوشهم ولا بدَّ لهم من خطة من اثنتين اما صرف جيوشهم واما الحرب . واستدعِ بورتالس[3] ولا تضيع دقيقة واجمع المجلس واخبر تربتز وملكي وناد بالنفير العام . اللهمَّ عفوك لماذا ترددتُ في الامر وانت الآمر بهذا . اني اشعر بصداع شديد يا بتمن ولا بدَّ لي من الخروج

ثم خرج ودخل بعدهُ بلين والاستاذ وقال بلين ان جلالتهُ استدعانا والظاهر انهُ نسي

الوزير — لم ارهُ قط مضطرباً كما هو مضطرب الآن وقد اعلن الحرب

بلين — اللهمَّ نجنا برحمتك المحارب فرنسا وانكلترا وروسيا ومن المحتمل ان نضطر لمحاربة ايطاليا واليابان ايضاً هذا هو الجنون المطبق بعينهِ

الوزير — اخشى ان يكون الامر كما قلت

بلين — ألا يمكن تلافي الخطر

الوزير — جلالتهُ لا يصغي الى احد وقد اتيت لاخبرهُ عن انكلترا فلم يرد ان يسمع

الاستاذ — لا يعقل ان انكلترا تنضم الى اعدائنا

الوزير — ستنضم اليهم حتماً

---

(١) سفير النمسا في برلين (٢) وزير خارجية النمسا والمجر (٣) سفير المانيا في روسيا

الاستاذ — انكلترا لا تفعل الاَّ ما فيهِ مصلحة لها فلا تحاربنا الاَّ اذا فعلنا شيئاً يضر بسيادتها البحرية او الاستعمارية ومن اكبر الخطإ ان نمسَّ البلجيك لان لاستقلال البلجيك علاقة لا تنفك بسياسة انكلترا ومصالحها

الوزير — ولكن وصولنا الى فرنسا متعذر الاَّ من طريق البلجيك

الاستاذ — اذن يجب ان نعدَّ انكلترا بين الذين يحاربوننا

بلين — هذا هو الانتحار بعينهِ

الوزير — ولكن قضي الامر كما قال جلالتهُ

الاستاذ — ومَن يعلم متى تكون النهاية

وخرج الوزير حينئذٍ والتفت بلين الى الاستاذ وقال لهُ هذا هو الجنون يا استاذ

الاستاذ — يا حبيبي انا وانت نعرف ذلك ولكننا لا نستطيع ان نصلح العالم ولا الملوك والزعماء قادرون ان يديروا حركتهُ وكما تكونوا يولى عليكم

بلين — ولكن قواد الجيش ما ضربتهم

الاستاذ — لعلهم ليسوا اعقل من غيرهم !

بلين — اواه عليكِ يا الماتا مضى يوم النعيم وجاء يوم البؤس وقد لا نرى النعيم مرة اخرى بعدما تغلَّب الجنون على العقل

الاستاذ — ولكن الجنون فنون ومنهُ نوع يختلب الالباب

بلين — لعلهُ الصرع

الاستاذ — نعم الصرع منها واظن ان تشه كان من المصابين بهِ

بلين — لقد كان من المحمسين المتطرفين المشهورين

الاستاذ — وهذا المحمس يستغوي العقول ويستهويها ولقد كان ذووهُ يُبَدون في الزمن السالف

بلين — ومنهُ ما حدث عصر هذا النهار

الاستاذ — نعم هو منهُ

بلين — (يقدم سيكاراً الى الاستاذ ويقول) واحسرتاهُ هذا السيكار ثمَّا جابتهُ جلالتهِ آخر مرة من اميركا وقد لا استطيع جلب غيرهِ قبل زمن طويل انتهى

غرائب النبات

(٢)

كان يظن فيما مضى ان للحيوان وحده قوة الحركة الاختيارية او الاختيارية ظاهراً ولكن اتضح الآن ان بعض اصناف النبات لهُ تلك الحركة بل انها من خصائص البر وتوبلازم الحي نباتياً كان او حيوانياً . وكان يقال ان الحيوان يأخذ الاكسجين في زفيره ويرد الحامض الكربونيك في شهيقه وان تنفس النبات على ضد ذلك . ولكن علماء فسيولوجيا النبات يقولون الآن ان تنفس النبات الحقيقي مثل تنفس الحيوان . وكان الرأي السائد قبلاً أن الحيوان لا يصنع النشا في جسمه مطلقاً بل ان النباتات وحدها تصنعهُ في ادوار معلومة من ادوار وجودها . ولكننا نعلم الآن ان النباتات الفطرية الدنيا لا تصنع النشا وانهُ موجود في غلف بعض اصناف الحيوانات الدنيا . وكانت آخر حجة للذين يقولون بوجود فروق جوهرية بين الحيوان والنبات ان طعام الحيوان آلي فقط وطعام النبات غير آلي ولكن المباحث الحديثة ابطلت هذه الحجة الاخيرة فان النباتات الحلمية تنتقي طعاماً آلياً ممثلاً نجدهُ في ابدان النباتات التي تعلق بها وتتطفل على موائدها

وهذه النباتات الحلمية منها ما يمتص غذاءهُ بواسطة اعضاء تشبه الجذور . ومنها ما يتصهُ بواسطة خيوط جذرية كما يشاهد في الاصناف الفطرية . على ان هناك نباتات تمتص غذاءها بجهازات خاصة بها توجد في اوراقها . وكان يظن قبل هذا الاكتشاف الذي اكتشف منذ نحو اربعين سنة ان اوراق النباتات لا تستطيع امتصاص الماء النقي سائلاً كان ام غازاً الا في حالات شاذة جداً وقد عرفوا حتى الآن نحو ١٣ جنساً من هذه الرتبة وصفها دارون وصفاً دقيقاً . وسميت هذه الرتبة بالآكلة اللحوم ومنها الجنس المسمى دروسرا او ندى الشمس وهي اعشاب تنبت في الاماكن الرطبة الاشنية اوراقها حمراء مرتبة على هيئة وردة وازهارها بيضاء اما الاوراق فنديدية تظهر انها منداة حتى في احر ايام الصيف . واما الازهار فلا تفتح الا في نور الشمس . ومن اشهر انواع هذا الجنس النوع المسمى « روتندیفوليا » قال الدكتور بوست في كتابه « نبات سورية وفلسطين والقطر المصري » انهُ رآهُ في فصل الصيف عند عين السواعير في بكفيا (حرف ب) . وترى ورقتهُ مكبرة (حرف ت) . واذا دققت النظر فيما يخيّل انهُ ندى على غدد الورق رأيت انهُ ليس نقط ندى بل سائل لزج والنقط متصل بعضها ببعض بمثل خيوط فاذا وقعت حشرات

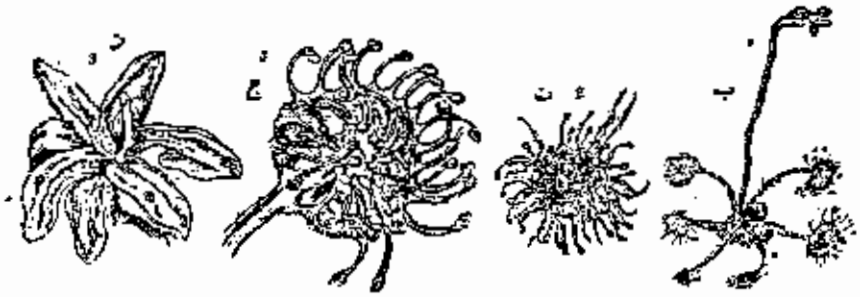

زهرة من
ذوات الابريق

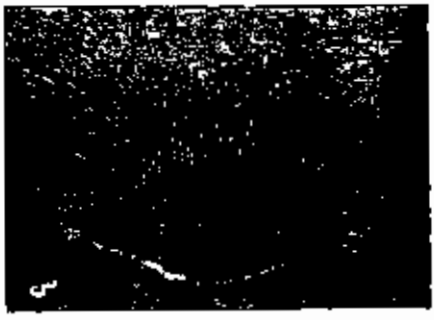

صغيرة عليها التصقت بها ثم التفت اطراف الغدد عليها كما ترى عند حرف (ج) وفيه صورة ورقة انحنت غددها على حشرة فاعتقلتها

واذا أُخذت ثبتة من هذا النوع وزرعت في رمل كثير الرطوبة ثم وضعت على ورقة من اوراقها حشرة صغيرة او دويبة انحنت الغدد عليها مبتدئة بالاقرب فالاقرب ولا يمضي الاَّ القليل حتى تنحني عليها كلها فتبيت الحشرة في سجن لا مهرب لها منهُ . وقبل انحناء الغدد عليها تنقطع عن الحركة بسبب المادة اللزجة . فحركة الغدد ليست ناشئة عن حركة ميكانيكية يحدثها تخبط الحشرة بدليل ان الغدد الخارجية لا تشرع في الانحناء عليها حتى تفقد كل حركة . كذلك اذا وضع في وسط الورقة شيءٌ متحرك سواءٌ كان دويبة او غيرها فعلت الغدد به فعلها بالدويبة . اما اذا وضع على غدة من الغدد المتطرفة فان هذه الغدة وحدها تنحني اولاً نحو وسط الورقة ثم تتبعها الغدد الاخرى والغدد هي التي تفرز المادة اللزجة دون غيرها . واذا كانت الورقة سليمة فان خلايا الساق التي تقوم عليها تكون ممتلئة سائلاً ارجواني اللون متجانساً ولكن اذا هيجت الغدد بمسّها مراراً متكررة او باحتكاك مادة آلية بها طرأ على الخلايا انقلاب عظيم اذ تجمع المادة الملونة على اشكال مختلفة وتعوم في سائل لا لون لهُ فضلاً عن ان الاشكال الملونة لا تستقر على حال بل تكون دائمة التغير فتنفصل او تتصل وهي تتحرك حركات شبيهة بحركات الاميبا او كريات الدم البيضاء

ومن غريب ما يذكر عن حركة هذه الغدد انهُ اذا كانت المادة الموضوعة عليها غير آلية انحرفت بعض الانحراف ثم عادت الى وضعها الاول وليس الامر كذلك اذا كانت المادة آلية ولا سيما اذا كانت حشرة حية صغيرة فان اطراف الغدد تنحني عليها ولا تتركها حتى تمتصها كلها او بعضها . واغرب من ذلك ما يبدو من ورق هذا النبات اذا مسّتهُ السوائل . فان الماء المقطّر لا يحرّك منهُ ساكناً وهذا ما ينتظر . ولكن السوائل الآلية غير النتروجينية لا تؤثر فيهِ اقل تأثير ايضاً . فاذا رش عليهِ ماء اذيب فيهِ صمغ عربي او سكّر او نشا او رش عليهِ محلول ممزوج بماء او زيت او شاي لم تبدِ الغدد حراكاً . اما اذا رش عليهِ شيءٌ من المواد النتروجينية كاللبن والزلال ومرق اللحم والمخاط واليصاق والبراز فان غددهُ تتحرك حركتها المعهودة حتى ان اوراق الدروسرا تستعمل كمحك للسوائل فيعرف هل تحتوي نتروجيناً ام لا . وهي محك دقيق لذلك لا يفوقهُ البكتروسكوب . وقد ظهر من التجارب المختلفة انهُ اذا امتصت غدة جزءاً واحداً من ١٤٤٠٠ جزء من قمحة من كربونات الامونيا (٠٠٠٤٤٥ ملليجرام) فان هذا القدر الصغير كافٍ لانحراف جذع الغدة ولو قليلاً .

واذا غمست الغدة في محلول يحتوي على جزء واحد من ٢٦٨٨٠٠ من القحمة (٠٠٠٢٤ ملليجرام) بضع ساعات ظهر فيها ذلك التأثير عينهُ . واذا فصلت الاوراق عن النبات بقيت فيها هذه القوة ساعات بل اياماً مما يدل على انها تتناول الغذاء مما حولها مستقلة عن الجذور

وربَّ قائل يقول ان ذلك كلهُ لا يفيد ان النبات المذكور آنفاً يهضم الطعام الحيواني الذي يتغذى وان جميع تلك الحركات التي يأتيها انما يقصد بها تسهيل انحلال اللحوم وغيرها من المواد الآتية التي يقتنصها وان المادة المغذية الناتجة عن انحلالها تسقط إلى الارض فتتخلل التربة ويتغذى بها النبات بواسطة جذوره كما هو المعتاد . ولكن دارون اثبت بالتجربة والبرهان ان حركات اوراق النباتات هي عمل هضمي حقيقي وان الاوراق تحتوي في اثناء الهضم على حامض لا يكاد يظهر فيها قبلهُ وعلى مادة تشبه البيبسين (المادة الهاضمة في العصارة المعدية) وظيفتها تخمير الطعام . وهذه المادة كالحامض لا تفرزها الغدد الاَّ اذا هيجت بمادة نتروجينية قابلة للهضم . وجاءت تجارب علماء آخرين مؤيدة تجارب دارون في هذا الشأن بل ان بعضهم اثبت بسلسلة امتحانات اتاها ان هذه النباتات تستطيع ان تعيش بواسطة اوراقها من غير ان تستعين بجذورها وان الاوراق اقدر على امتصاص الغذاء من الجذور

ومن الاجناس الآكلة اللحوم الجنس المسمَّى بنتويكولا اشهرهُ النوع المسمَّى فلجارس وهو ينبت في مستنقعات البلاد الباردة وآجامها وقد عربهُ بعضهم بحشيشة الدهن وبقلة الكوم (حرف د) . وجه اوراقهِ مملوء غدداً تفرز مادة لزجة لا حامض فيها ولا تتحرك اذا هيجت وكل ما لها من الحركة انكفاف حراشتها انكفافاً بطيئاً على ما يعلق بها من الهوام ثم لا تلبث ان تعود الى شكلها الاول . وقد دلت تجارب دارون فيها على ان الاشياء التي لا تحتوي على مادة قابلة للذوبان صالحة للتغذية والهضم لاتهيج الغدد فلا تفرز شيئاً . اما السوائل النتروجينية الكثيفة فتجعلها تفرز مادة لزجة غير حامضة . واما المواد النتروجينية الجامدة او السائلة غير الكثيفة فتجعلها تفرز مادة لزجة غزيرة حامضة . وهذا الافراز يحلّ الاجزاء اللينة من ابدان الهوام ويحلّ كل لحم وزلال ومادة جلاتينية او جبنية ويهضمها فتقتنصها الغدد ويتحول لونها من اخضر الى اسمر . ولهذا النوع من النبات ازهار زرقاء غامقة وهو ينبت في البلاد الجبلية على مجاري الماء فلا يكاد الصيف ينتصف حتى تذبل ازهارهُ وتسقط

وهناك اجناس اخرى تصيد الهوام والحشرات حتى الدود اشهرها نباتات تكثر في جزر الهند الشرقية وجزر استراليا وقلما تكون في غيرها وتحفظ في البلاد الباردة بالحرارة تحت الزجاج تسمَّى بالانكليزية Pitcher-plants اي النباتات ذوات الابريق . (حرف ر)

والابريق فيها مؤلف من جزء من ساق الورقة وجزء منها هي نفسها وفي قعره سائل عمقهُ بوصة او اكثر . وكان يظن فيما مضى ان هذا السائل ماء صرف يصلح للشرب ولكن ظهر من تحليلهِ انهُ محتوٍ على كثير من الاملاح المعدنية . والغالب ان يكون فيهِ جثث كثير من الذباب وسائر الحشرات يغرّها بصيص ماء الابريق فتدخلهُ لتبقى وتموت فيهِ لانها اذا حاولت الخروج منهما من ذلك حاجز مكشوف الى داخل الابريق وعلى حافاتهِ شعر عدد الرؤوس (حرف س) . وقد ظهر من تحليل السائل انهُ حامض يحلّل المخلالات الجثث وهضمها . وغريب فيهِ انهُ اذا صبّ من ابريقهِ في كأس من الزجاج بطلت قوتهُ الهاضمة مع بقائهِ حامض المذاق . وقد استدل دارون من ذلك على ان المادة الفعالة التي تهضم الطعام فيهِ هي خميرة من نوع البيسين تفرّز في خلال امتصاص مادة نتروجينية فقط

ولو اعتذر معتذر عن هذه النباتات على افتراسها للهوام والحشرات بانها تطلب صيداً لقتات بهِ كسائر من في الوجود فما عذرها في تعذيب فرائسها قبل القضاء عليها اذ كانت اعصاب الحشرات تشعر بالالم . فان الحشرة قلما تُقتل حالما تُمسك . ففي النوع المسمّى درلنتونيا وهو من الجنس الابريقي يزين للذباب وغيرهِ من الحشرات ذوات الاجنحة دخول الابريق شهد مقطّر من جوانبهِ في الداخل فتدخلهُ من مثل سرداب في راس الابريق (حرف ص) لهُ فتحة من اسفل . واعلى السرداب مملوء بقعاً شفافة كالشبابيك . فاذا ارادت الذبابة التي دخلت ان تخرج طارت صعداً نحو النور المنبثق من تلك الشبابيك الكاذبة . اما الفتحة الحقيقية فمخبوءة في ظلّ الجزء الاسفل من السرداب فلا يراها الذباب . فتسطح الذبابة جوانب السرداب وتضرب نفسها عليها مرة بعد اخرى حتى تسقط معيية في السائل الذي يملأ قعر الابريق فتموت غرقاً . وقد يدوم تخبطها بضع ساعات

وكثيراً ما يموت الذباب معذباً شر عذاب في النبتة المسماة مصيدة الزهرة ترى في الرسم (حرف ط) ذبابة زرقاء كبيرة واكبر من ان تحتويها الورقة علقت بارجلها وحاولت التخلص فلم تستطعهُ لشدة لزوجة السائل . ثم ان هناك شعرات متينة اذا مست جعلت الورقة تطبق على الفريسة . ولو كانت الذبابة التي في هذا الرسم اصغر مما هي لاطبقت عليها ولكن كبرها منعها من ذلك فعهدت الورقة الى سيالها اللزج في اتمام ما عجزت هي عنهُ فكان بهِ القضاء على الذبابة

وافظع من ذلك ما يفعل منبط من اسباط الزنبة الوردية قريب من المليّق (حرف ع) فان لاثمارهِ صنّارات تمسك ارجل الذباب الذي يسوقهُ جدّهُ العاثر الى الوقوف عليها فيموت اشنع الميتات . وافظع ما في الافظع ان هذه النباتات تفتك بالذباب لا لدفع مغرم ولا لجرّ

مغنم بل لمجرد اللهو والتسلية كما كان نيرون يتسلّى « بحرائق » رومية

وكثير من النبات يبدي مزيد القسوة في توزيع بزوره مثال ذلك نبتة معروفة باسم مرتينيا تنبت في اميركا الجنوبية فان غلاف البزور فيها مسلح بصنارات متينة قد يبلغ طول الواحدة منها ٦ بوصات فاذا علقت بجسم حيوان غرزت في لحمه . ويقال انها كثيراً ما تصيب الثيران فتؤلمها الى حدّ يحملها على القرار على وجهها لا تلوي على شيء . وقد يستغرق شفاء الجراح الحادثة من هذه الصنارات ثلاثة اسابيع . اما فائدة هذا النبات من مصيبة الحيوانات التي تعلق الثمارة بها فهي توزيع بزوره هنا وهناك ولكن ذلك لا يتمّ الاّ على ما رأيت من التهجم والقسوة

ولا ينكر على النباتات دفاعها عن نفسها من الحيوانات التي تهاجمها ولكن دفاعها هذا كثيراً ما يكون مشوباً بالعدوان وحب الانتقام كالقراص مثلاً . وصف السر جوزف هوكر صنفاً منهُ رآهُ في احد اسفاره الى جبال حملايا قال : « يسمي الهنود هذا النبات ميالما . وقد يبلغ علوهُ ١٥ قدماً ولهُ اوراق لماعة لا اثر للحمات اللذاعة فيها ولكن الهنود يخافون شرّهُ حتى اني طلبت ممن كان معي منهم ان يقطعوا بعضهُ فلم يلبوا الطلب الاّ بعد الالحاح الكثير » ولا عجب لانهُ اذا لمست يد انسان ما تلك الشعيرات المكرسكوبية المتصلة بالاوراق نالهُ من لمسها الم لا يوصف . ويكون في بادئ الامر خفيفاً ولكن لا يلبث ان يشتدّ بعد بضع ساعات حتى كأنهُ لذع النار . ثم تطرأ على جسم المقروص في غير مكان الاصابة اعراض كاعراض التتانوس مثل انقباض عضلات الفك وغيره من الاعراض . واتفق مرة ان دام الالم في احد المصابين تسعة ايام

ويبالغ النبات في الدفاع عن نفسهِ حتى جعل من ذلك الدفاع حرفة لهُ لا يقصد منها صدّ مهاجميهِ قدر ما يقصد الاتخان فيهم واذاقتهم الوان العذاب كالصبير (التين بشوكه) فان ما في الصنف العادي منهُ من الاشواك كاف لدفع عداء بعض الحيوان لهُ ولكن لبعض اصنافهِ الاخرى اشواكاً تغرز في ابدان الحيوانات التي تهاجمهُ ولا تقتلع منها الاّ بعد ما تسام مرّ العذاب . ثم اذا انتزعت بقيت خلفها جراح لا تندمل بسهولة

هذا قليل من كثير مما يدلّ على ان بعض انواع النبات قاسٍ لا يرحم في معاملتهِ للحيوان المعتدي عليهِ . نعم انهُ يدافع عن نفسهِ فلا يسعنا تعييرهُ بما عير الشاعر الفرنسوي زميلهُ الحيوان حيث قال ما ترجمتهُ « هذا الحيوان لئيم جدّاً لانهُ يدافع عن نفسهِ من مهاجميهِ » ولكنهُ في غنى عن التذرع بالقسوة والشدة في الدفاع عن نفسهِ بدليل النباتات الكثيرة التي ترد عنها غارات أعدائها من غير ان تلجأ الى امثال هذا الوسائل العدائية

بغض الالمان لانكلترا

سببهُ ومعناهُ

انشأ الدكتور آرثر شدويل الكاتب الانكليزي المشهور مقالة بهذا العنوان نشرتها مجلة القرن التاسع عشر . قال :

ليس بين ما أثارتهُ هذه الحرب من الشهوات ما هو اعظم ظهوراً من البغض الشديد الذي تبديهِ الامة الالمانية لانكلترا في القول والفعل . فهذا البغض هو الشهوة البيّنة الأثر في مزدحم الشهوات الجمة المتلاطمة تلاطم الامواج في البحر الثجاج . وقد أخذ بهِ الجمهور الانكليزي على غرة فلذلك نراهم اميل الى رمقهِ بعين المستهزىء المتعجب منهم الى رمقهِ بعين الجادّ المعتبر والى تعليلهِ بانهُ « ألمٌ في الطبع » . وقد نبتهُ كثير من الكتّاب بالمستيريه وصرفوا النظر عنهُ بابتسامة في طيّها ما شئت من تسامح وتمالٍ وترفّع . وهذا خطأ كبير جدًّا . فان لفظة « هستيري » التي يكثر الكتاب من الالتجاء اليها وزجّها في كل معرض من معارض القول كثيراً ما وضعت في غير موضعها ولاسيما في الحالة التي نحن بصدد الكلام عليها . فالهستيريا ان كانت في البدن فهي مرض وهميّ وان كانت في العقل فهي شهوة وهمية وكلاهما متقلّب لا يستقرُّ على حال من القلق . فاذا استعملت هذا الاستعمال فلا بأس بها لانها كلمة مفيدة ذات معنى محدود ولكن سوء استعمالها جرّدها من معناها الاول

بالامس ظهرت مقالة عن الحرب في مجلة اسبوعية ذات منزلة كبيرة وقد استعملت فيها لفظة هستيريا وهستيري نحو اربعين مرة ولم يستعملها كاتبها مرة واحدة في معناها الاصلي بل لجأ اليها كلّ مرة حيث اراد المهانة والاحتقار . ولكن استعمالنا اياها في وصف البغض الالماني ونحن نريد انهُ بغض كاذب لا حقيقة لهُ يوقعنا في وهم فاضح . فان الالمان قوم شديدو الانفعال عرضة للانتقال من النقيض الى النقيض ولكنهم لا يفعلون ذلك اعتباطاً ولا لجاجة ولا لسبب وادن . وشهواتهم قوية وحقيقية وشهوة الغضب هذه فيهم اعظم شهوة بدت منهم كأمّة . ولقد رأينا بعض صحفهم يميل الى ذمها ولكن ذلك لا يدلّ على تناقصها فيهم وخفة حدتها . فيجدر بنا لذلك ان نحاول درسها وتفهمها لا ان نحتقرها ونهزأ بها اذ ليست مما يصح الاستهزاء بهِ في حال من الاحوال . فهي اذا كانت باقية غير زائلة — وهو ما ترجحهُ الظواهر الآن — فلسوف تكون مصدر شرّ مستطير وخيم العقبى جيلاً فجيلاً تمسي عندها امنية السلام الدائم التي يمني الناس انفسهم بها ضغثاً من الاحلام وتحلّ محلها حروب لا آخر لها .

ولست اعلم هل يمكن الخلاص من تلك النتائج بحال من الاحوال اذ يستحيل الآن ان نرى كيف ان الاحقاد الجنسية والحزازات الوطنية التي اثارتها الحرب يمكن ازالتها او الجمع بينها. وهذه الحرب حرب امم وشعوب لا حرب حكام ولا حرب ساسة ولا حرب قواد

فالمسألة تقتضي درساً كثيراً . واول الخطوات في سبيل درسها ان نفصّل ذلك البغض وندرك ماهيتهُ تمام الادراك . وقد يظهر لاول وهلة ان ذلك لا حاجة اليهِ ولكن الباحث فيما كتب الكتاب حتى كبار المفكرين في هذا الموضوع يرى هناك ابهاماً كثيراً وغموضاً لا طائل تحتهُ . وهذا الغموض عائد الى سببين الواحد ان لفظة البغض استعملت لمدلولات شتّى . والثاني ان شهوة البغض على كونها من اعظم الشهوات المتسلطة على الناس اهملها الفلاسفة وعلماء الاخلاق ولم يعيروها جانب اهتمامهم . وربما كان القديس توما اكيناس هو الكاتب الوحيد الذي اطال البحث فيها على ما اعلم . وقد ذكرها الفيلسوف لوك عرضاً واكتفى بتعريفها تعريفاً أبتر بقولهِ انها العلم بالألم الحاصل فينا من شيء من الاشياء

والبغض الحقيقي لا يقتصر على ارادة اجتناب الشيء بل يتناول ارادة الاضرار بهِ وابادتهِ . وكلّ شهوة تميل بالمرء الى القتل او حب الابادة تنشأ عن فكرة التضرّر واساسها غريزة المحافظة على النفس التي تعدّ من صفات الحياة الجوهرية . فان الحيّ اذا هوجم حاول ايذاء مهاجمهِ جهد طاقتهِ او ابادتهُ اذا استطاع الى ذلك سبيلاً . والبغض والحرب من صفات الانسان الخاصة مهما قيل عن وجودهما في سائر الحيوان . والضرر الذي يسبب البغض ثلاثة انواع (١) ضرر واقع . و (٢) ضرر متوقع . و (٣) ضرر متوهم . فان كان الضرر متوقعاً او متوهّماً لا غير فالبغض الذي يجرّهُ زائل غير دائم وقد يكون في حالة وجودهِ حقيقيًّا شديداً . والبغض الناشيء عن الضرر الواقع مختوب بفكرة الانتقام . والناشيء عن الضرر المتوقع بفكرة الخوف . واجتماع الضرر الواقع والضرر المتوقع اعظم دواعي البغض . وقد يشبه الضرر المتوهم احدهما او كليهما معاً ولكن شبهاً وقتيًّا

وسواء كان الضرر واقعاً او متوقعاً او متوهماً فهو اما ان يكون حسيًّا او معنويًّا او كليهما معاً . والضرر الحسّي او المادي اعم ولكن الضرر المعنوي كالاهانة والاذلال وايذاء الشرف قد يكون اشدّ وقعاً بكثير . واذا اجتمعا كان فعلهما عظيماً فترى من ذلك ان اجتماع الضرر الحسي والمعنوي واقعين ومتوقعين هو اعظم اسباب البغض بوجهٍ عامّ . ثم ان شدة الشعور بالبغض تتوقف على درجة الضرر وعلى طبع المضرور وهما مختلفان كلّ الاختلاف . وليس من الضروري ان يكون الاذى الذي ينال المؤذى واقعاً على شخصهِ بل

ان الاذى الذي ينال احداً من اعزائهِ وذوي قرباهُ كثيراً ما يشعر بهِ اكثر من شعورهِ بالضرر الذي يقع عليهِ ويثير ثائرة بغضهِ الى حدّ لا يبلغهُ الثاني . فالام تستنكر التعرض لاولادها بسوء والاضرار بهم اكثر من استنكارها لسوء وضرّ ينالان شخصها . والرجل يستفظع كلّ اهانة تلحق بامرأتهِ وبنائهِ واخواتهِ اكثر من الاهانة التي تلحق بهِ . لذلك ترى المحاكم تجيز لمن تقع بهِ اهانة ان يؤدب من يهينهُ بنفسهِ ويسمّى ذلك في اميركا «بالشريعة غير المكتوبة»

وكثيراً ما يكون الاذى المسبب للبغض غير مقصود اي ان فاعل الاذى قد يكون مدفوعاً اليهِ بغير ارادتهِ ولكن مجرد وجودهِ يحسب ضرراً ويفضي الى بذل الوسائل للتخلص منهُ . على ان الضرر غير المقصود ليس سبباً مشروعاً للبغض فلا يتذرع بهِ الاّ اللئيم

***

هذا كلام عامّ في البغض بصرف اطلاقهُ على الفرد والجماعة معاً وبغض المانيا لانكلترا من الشكل الثاني اي بغض الجماعة وبعبارة اخرى هو شهوة وطنية تجول في صدور طوائف الامة كلها بل في صدر كل عضو من اعضائها تقريباً على ما يلوح لنا . وبغض اجماعيّ مثل هذا لا يكاد يكون لهُ وجود الاّ ويشعر صاحبهُ باذى حقيقي اصابهُ ولكنهُ اكثر توقفاً على الاذى الموهوم من البغض الفردي . اذا اجتمع رجلان تدبّ في صدريهما عاطفة واحدة وجعلا يتعاتبان فان نتيجة ذلك العتاب تضاعف تلك العاطفة وزيادتها شدة . اي ان الصفة لتغير تغيُّر الكمية . واذا انتقلنا الى الجماعات وجدنا ان عواطفهم على اختلافها تشتدّ اشتداداً لا حدّ لهُ بالصدى . وهذا ما كان يحدث في المانيا حيث القوم عرضة بوجه خاص لما سميهِ «الاستهواء الجموري»

ليس البغض الالماني لانكلترا بالحديث العهد ولا هو بالمفاجئ . بل قد مرّت عليهِ سنون كثيرة وهو في تقدم وغوّ . وقد ارجعهُ اسقف برمنهام الى ايام حرب فرنسا والمانيا . وانا اوافقهُ اجمالاً وان يكن اختباري الشخصي لتلك المدة مخالفاً لاختبارهِ . فقد قال انهُ لما نشبت الحرب بين الامتين تردد الرأي العام الالماني اولاً فيما يكون من سلوك انكلترا ولكنهُ استقرّ بعد ذلك على قرار ثابت فناصب انكلترا العداء اذ علم انها ستلزم الحياد وان الصبية الانكليز في بعض المدن والقرى يتظاهرون بولاء فرنسا وعداء المانيا . اما انا فكنت في ذلك العهد في المانيا فلم ارَ فيها اثر عداء لانكلترا . نعم ان اهل الجنوب في المانيا لم يكونوا يريدون الحرب حسبان ان بروسيا هي المتسببة بها ولكنني قصدت فيما بعد سويسرا واقمت برهة في

فندق ببلدة دانوس وكان الفندق يعجّ بالالمان من بروسيا وغيرها فالفيتهم على غاية الولاء والمسالمة لي ولغيري من الانكليز النازلين معي في الفندق في حين ان ضلعنا كان مع فرنسا ولعل اعظم سبب في ذلك كونها كانت مغلوبة . ثم عدت الى المانيا وكان مسيري اليها من بحيرة كونستانس فلم القَ اثراً للعداوة حتى بلوغي بلدة آكس لا انا ولا غيري

لكن المانيا اليوم غير المانيا حينئذٍ فقد تغيرت كثيراً وكان تغيرها بطيئاً تدريجيًّا . ففي السنة التالية لتلك الحرب عدت فسافرت من آكس الى باصل فرأيت من صلف الضباط مالا يصدَّق فانهم كانوا يحسبون سائر الخلق حشرات وهوام وتوالت زياراتي لالمانيا واسفاري فيها بعد ذلك فألفيت الصلف العسكري قد خفّ ولكن بعدما اعدى سائر الامة . وهو مشاهد في المان المانيا نفسها وفي الالمان المقيمين خارجها وربما كان في الثانين اشدّ منهُ في الاولين . ويعبّر الالمان عن هذا السلوك بلفظة عامية هي « شنيدج » ومعناها الاصلي الحدة والوضعي الزهو والادلال اي ان تدعي العظمة وتتأثر بها وتنظر الى سائر الخلق نظر السيد الى العبد او العالي الى من هو اسفل منهُ . قال كاتب الماني : « ان كل الماني يسلك مسالك الزهو والإدلال « شنيدج » في بلد غريب ينفر القلوب من المانيا بما لا يصلحهُ مئة رجل صالح فيها » على ان هذا الوصف يعدّ مدحاً على الغالب وما من احد الاَّ ويحبّ ان يوصف بهِ . وغنيٌّ عن البيان ان الالمان يسلكون هذا السلوك بازاء سائر الامم لا بازاء الانكليز وحدهم . وهو تربة صالحة لنمو بذور البغض وزكاء زرعهِ بعد ما بذرت تلك البذور سنة ١٨٧ اي يوم نهجت انكلترا منهجها المعروف في حرب بروسيا وفرنسا فاثار ذلك حقد الدوائر السياسية والعسكرية عليها

وازداد ذلك الحقد شدة سنة ١٨٧٥ يوم قاومت انكلترا سعي المانيا في محاربة فرنسا ثانية والقضاء عليها قضاءً مبرماً . ولكن ذلك لا تصح تسميتهُ عداءً قوميًّا اجماعيًّا فان العداء القومي الاجماعي بدا في ثورة الخواطر الشديدة التي ثارت في المانيا على انكلترا سنة ١٨٨٧ و١٨٨٨ ايام مرض الامبراطور فردريك الثالث والد الامبراطور الحالي . وكنت حينئذٍ مقيماً بالمانيا فشاهدت تلك الحركة من اولها . وهي قسمان سياسي وعلميّ . والعلمي منها هو الاهم لانهُ مبدأ تلك الروح التي دبت في صدور علماء المانيا فصيرتهم اكثر الناس عداوة لانكلترا واشدهم بغضاً لها . وعداوتهم تفوق عداوة غيرهم بمراحل في مرارتها . وكان غرض عداوتهم الاخص السر موريل مكنزي الجراح الانكليزي الشهير الذي دعي لمعالجة الامبراطور وهو ولي العهد وبقي مستشارهُ الطبي الاكبر حتى موتهِ . وكان زعيم هذه الحركة

الجراح فون برجمان فانهُ استنكر وجود غريب في البلاط الالماني ولكن مصالحهُ الشخصية كانت مطابقة لاغراض المحرك السياسية ولاسيما ان هذا كان يدير حملة على زوجة ولي العهد (ام الامبراطور الحالي وابنة الملكة فكتوريا) بدعوى انها انكليزية وناشرة روح الامبال الحرة في ولي العهد او مؤيدتها . وكان المحرك قد استمال اليهِ الصحف والبلاط والحزب المحافظ والامبراطور الحالي وكان الحزب الحر يقاومهم . فاحتدم القتال بالكلام حول سرير ولي العهد العليل وقلق خواطر الامة يزداد كل يوم . ودام النضال بعد ان ذهب الداء بهِ . ذلك ان نشرة رسمية نشرت متضمنة لتفصيل مرضهِ وموتهِ ولم تمكن في واقع الامر سوى طعن في طبيبهِ الانكليزي . وكاتبو تلك النشرة هم الاطباء الالمان الذين صرفوا بعض خدمة ولي العهد في مرضهِ او كانت علاقتهم بمداواتهِ قليلة . ولا يعقل ان تكون قد نشرت بلا موافقة الامبراطور الحالي . وقد كان ما فيها من القذف شديداً الى حد ان حظر نشرها في انكلترا فلم يطلع اطباؤها على واقعة الحال كما هي

لهذه الحادثة اهمية تاريخية عظيمة لانها مبتدأ مرحلة واضحة الحدود في عداء الالمان لانكلترا وخصوصاً اهل العلم منهم . وقد نالني انا نصيب من هذا العداء لا لسبب سوى كره القوم لكل شيء انكليزي . وكانت تعاليم تركي قد عززت في الامة قوة معرفة نفسها وزادها عزة توحد كلمتها وباتت انكلترا الهدف الاكبر لذلك الشعور المتزايد . وليست بنا حاجة الى ذكر الحوادث السياسية المختلفة التي حدثت في عهد الامبراطور الحالي وكان لها اعظم مساس بهذا الموضوع فاكتفي بذكر هذه الحادثة الطفيفة التي وقعت بمشهد مني : من اول الاوامر العسكرية التي اصدرها الامبراطور الحالي بعد ارتقائهِ الى السرير امر ينهى الضباط عن لبس الاحذية « ذات الكعب الانكليزي الفيضح » . وكان الرجال في المانيا لا يزالون يلبسون حينئذٍ احذية ذات كعب عالٍ ولكن ظهر في دوائر المتأنقين في اللباس ميل الى اقتباس بعض ازياء الرجال من انكلترا ومنها الكعب الواطئ للاحذية . فحال الامر الامبراطوري المذكور دون ذلك الاقتباس . هذه الحادثة تافهة في حد نفسها لا يكاد احد يذكرها ولكنها بدء عصر جديد عصر ترويج كل شيء الماني كبيراً كان او صغيراً

على ان تسلط الروح الالماني على الدوائر السياسية والتجارية اقترن من هذا العهد فصاعداً بشكل آخر من اشكال التبسط الوطني فعل ما لم يفعلهُ شيء غيرهُ في تكوين طبع الامة الحالي . أريد بهِ تقدم التجارة والصناعة مما صيرها ذات ثروة ويسار وطالما ازدياد عددها ازدياداً كثيراً وارتفاع نفقات المعيشة . وهذا التقدم حديث العهد فجائي ولست ازيد

القول ان المانيا حديثة العهد بالتجارة والصناعة لانهما كذلك قديمة فيها . وانما اريد ان التقدم الحديث جرى بسرعة اخذت القوم على غرة فبدلت من عاداتهم كل تبديل في العشرين سنة الماضية او اقل منها فانهُ لم يكد يبدأ عند جلوس الامبراطور الحالي . والانقلاب العظيم الذي طرأ على البلاد منذ ذلك العهد يستوجب الدهشة وقد كان اقوى العوامل على توحيد الامبراطورية وانضواء القوم الى لوائها ورضائهم بالنظام الذي يؤيدها وتقوية روح الاعجاب بالنفس والطموح الى المعالي والنظر الى سائر الامم كما ينظر الرفيع الى الوضيع وترويج الفكرة المعبَّر عنها بثلاث كلمات من النشيد الالماني الوطني وهي « المانيا فوق الكل » . وزد على ذلك ان تقدم الالمان العجيب السريع جعلهم امة ذات صلف وخيلاء لانهُ تقدم مادي منظور ملموس باغتهم فلم يصحوا من نشوته . وكما امتهنوا العدو الذي قهروهُ سنة ١٨٧١ كذلك صاروا يمتهنون مزاحمهم الاقتصادي الذي يعدونهُ مغلوباً ويشعرون بانهم اغتصبوا مكانهُ وما يحف بهِ من اسباب الفخر والشرف . فالنجاح العسكري والنجاح المالي اشعرا الالمان بانهم اهل حولي غير محدود وانهم اشرف طينة واطيب عنصراً من سائر الاقوام . وان الاقدار خبأت لهم مجداً مؤثلاً لا حدَّ لهُ يعرف ولا آخر يوصف

ليس هذا حكم غريب فيهم بل هو مبسوط ومفصل كلَّ التفصيل في مؤلفاتهم الحربية وفيها تعداد مناقبهم واسباب سموهم على سائر خلق الله في كلّ باب وتجليتهم في كل ميدان . اما انا فأرى انهُ يحق لهم الازدهاء لانهم صنعوا العجائب . ولكن تماديهم في هذا الازدهاء وتعبيرهم عنهُ بلغة خارجة عن حدود الاعتدال والتباهي بانانيتهم تباهي الصبية وتخبطهم في الكلام عن الآداب والاخلاق (وهو ما يسمَّى بالالمانية Kultur) واحتقارهم للامم التي كانت رائدة المشروعات الصناعية والتجارية والتي المانيا مدينة لها بالعناصر اللازمة لارتقائها — هذا كلهُ دليل على خلل تامّ في قوة التوازن . فان الامة الالمانية معروفة بشدة الانفعال وبسرعة التحوُّل من الشيء الى ضدهِ والانتقال من طرف الى الطرف الآخر . وقد سما بها نجاحها ورفاهها الى ذروة الاغتباط بما أوتيت من النعمة وهذا ما لم يتظاهر بمثلهِ احد قبلها مهما تكن حقيقة شعورهِ

وبعد حادثة الامبراطور فردريك ومرضهِ ووفاتهِ وجلوس الامبراطور الحالي بقي ثبت ذلك البغض يقوى حتى كانت حرب البويرفتجلت نموهُ وظهر فيها قوة وطنية لاول مرة . نعم ان معظم الامم كانت تذم اقدام انكلترا على محاربة البويرولكن هذا التيار كان اقوى في المانيا منهُ في سائر البلاد حتى بلغ حدَّ البغض . فان امبراطور المانيا كان قد اوقف نفسهُ

موقف حامي البوير ومناهض السياسة الانكليزية فامّن قومهُ على هذه الخطة تمام التأمين. وفعل ما حمل البوير على ان يمنّوا انفسهم بمساعدته وحمايته ولكن لما جاء اوان المساعدة تخلّى عنهم. ولم ينل المانيا اذى ماديٌّ من ذلك ولكن الاذى المعنوي كان كبيراً. فالضربة على حسن ظنها بنفسها شديدة فقد شعر بها الجميع من الامبراطور والحكومة الى اصغر الرعية لما علمت من حالتهم العقلية فكانت نقمة انقلاب في سلوك الامة اذ شحذت عزيمتها على انتهاج سياسة التبسط وزيادة القوة البحرية وكانت راغبة عنهما قبل ذلك. وملأت الهواجس الحربية خواطر الاقوام المسالمة المطمئنة فباتت فكرة الحرب شغلها الشاغل وهمها الناصب. وقد قال لي بعض عقلاء الالمان منذ عشر سنوات ان المانيا تستطيع منازلة فرنسا وروسيا معاً. ثم جاء الاتفاق الانكليزي مع فرنسا اولاً ومع روسيا ثانياً وهما الدولتان اللتان اذا خطرتا على بال المانيا فلأمر ذي علاقة بالحرب فزاد ذلك الاتفاق بغض الالمان لانكلترا وزادهم ميلاً الى الحرب وجعلوا ينتقدون الامبراطور على مقالاته في التودّد الى انكلترا وفي مسالمتها

وليس هناك وهم اعظم من ذلك الوهم الذي لا يزال متسلطاً على بعض الاذهان وهو انهُ يجب الفصل بين الامة الالمانية وامبراطورها والنصر الحربي فيها لانها انما دفعت الى الحرب او اقتيدت اليها مكرهة مسيّرة رغم ارادتها. والحقيقة هي على الضدّ من ذلك فيما يخص الامبراطور. فان الامة لم تمل اليهِ قط مثلما مالت اليهِ لما شهر الحرب وقابلهُ عند مروره في شوارع برلين بمظاهرة بلغت حد الجنون ومع ذلك بقي ساكتاً صامتاً لا يحير جواباً ولا يبدي اشارة. وتضاعفت حمية القوم لما علموا انهم سيحاربون انكلترا ايضاً وقالوا قد آن الاوان لاخراج الشهوة التي غلت بها صدورنا هذا الزمان الطويل من القوة الى الفعل. فقد مرت سنون كثيرة وجميع طبقات الامة الالمانية تتربص بانكلترا ريب المجنون وتتمنى لها الشر وتتمنى الشر هو من اول علامات البغض. اقول انكلترا ولا اقول الانكليز واريد انكلترا كدولة وقد شاهدت هذا الشعور واضحاً حتى بين اقرب الالمان مودةً للانكليز وابعدهم عن المشاغبة وفي الحفلات الاجتماعية الصرفة التي دعا اليها داعي القرى والاخاء وخيّل اليّ ان المانيا كلها أشربتهُ. ولست أريد ان الالمان كانوا يتوقعون محاربة انكلترا بالواقع على ضدّ ذلك ولكنهم تمنوا اذلالها ولو جاء لرحبوا بهِ مهما يكن مصدرهُ. ولما ظهر لهم ان الاقدار تهيأت بان يتولوا تلك المهمة بايديهم قاموا لذلك قومة رجل واحد

هذا هو البغض الاكيد وهو ان تتمنى الضر لغيرك وتسعى اليهِ بنفسك وهنا مسائل نسأل انفسنا اياها وهي: هل نحن المتسببون بذلك البغض، وكيف تسببنا بهِ، وهل يمكن تخفيفهُ

وكيف يكون ذلك. ولأي سبب يبغض الالمان انكلترا . وجواباً على هذه المسائل اقول :

رأينا ان البغض قد ينشأ عن ضرر حادث او متوقع او موهوم وانهُ قد يكون حسيا او معنويًّا . فان كان الضرر متوقعاً او موهوماً امكن استئصال البغض الناشيء عنهُ ولكن ان كان حقيقيًّا واقعاً فالصعوبة عظيمة في استئصال البغض الناشيء عنهُ . ولا يمكن القول ان انكلترا اصابت المانيا قبل الحرب فعلاً بضرر حسي . فانهما لم تكونا قط عدوتين وكانتا احيانًا حليفتين . ويقول الالمان الآن انهُ لما كانت المانيا وانكلترا حليفتين كانت انكلترا تترك المانيا وشأنها تتعب وتزرع وحدها فتى يأتي الحصاد والقطاف تجمع انكلترا الثمر لنفسها. وهذا تشويه لوجه الحقيقة التاريخية دعا اليهِ الهوى . واذا رجعنا الى الحروب البسمركية التي خرجت بروسيا ثم المانيا منها ظافرة وجدنا ان انكلترا لم تكن سبب ضرر مادي ما للمانيا . ومنذ بدأت المانيا سياستها الاستعمارية سنة ١٨٨٤ ساعدتها انكلترا في امتلاك بعض البلاد . وتنازلها لها عن جزيرة هليجولند (المناوحة للساحل الالماني على البحر الشمالي) سنة ١٨٩٠ كان قياضاً حيويًّا عزّز مركز المانيا البحري كل التعزيز . وفي الحوادث السياسية الاخيرة لم ينل المانيا اذى ولا خسران وقد شهد كتابها بان تسوية مسألة سكة حديد بغداد كانت في مصلحتها . ومن الوجهة التجارية لم تميز انكلترا احداً عليها ولا فرقت بينها وبين احد بل فتحت امامها باب مستعمراتها اسوة بسائر الامم . وجهد ما هناك انهُ سنّ قانون يقضي بان كل سلعة اجنبية ترد على المستعمرات الانكليزية يجب ان يبيّن عليها مكان صدورها . وهذا القانون يسري على جميع البلاد بالسوية وقد اعترف الالمان بانهُ افادهم اعظم فائدة لانهُ جاء شبه اعلان عن سلعهم

وليس بين اعمال انكلترا عمل ما الحق بالمانيا ضرراً حسيًّا ولا الالمان يشيرون في كتاب من كتبهم حتى المتضمنة لاشدّ مطاعنهم في انكلترا الى عمل او شبه عمل من هذا القبيل . ومع ذلك كلهِ لحق بالالمان ضرر مادي منًّا وهذا هو معظم السبب في بغضهم لنا . فان السلطنة الانكليزية تؤذي المانيا بمجرد وجودها اذى سلبيًّا لا ايجابيًّا مقصوداً اذ هي حاجز حصين في سبيل تبسطها وتوسعها . وغنيّ عن البيان ان الذنب ليس ذنبنا ووجود الشيء ليس سيباً مشروعًا لبغضهِ بل الذنب ذنب المبغض . فان طموح المانيا وحالتها العقلية التي وصفناها آنفاً هما اللذان يبغضان السلطنة الانكليزية اليها . اما سائر امم الارض فلا تبغضنا لوجودنا . على اننا نفهم شعور الالمان فنعذرهم بقدر فهمنا اياهُ . فان قوماً بلغوا ما بلغوا من كثرة العدد والثروة والقوة والكفاءة لا بدع ان يحدو بهم ذلك ان

يحلوا من هذا العالم مكاناً مناسباً لتلك الصفات وان يقتنوا الاملاك غير الجار اسوة بامم دون الامة الالمانية في سعتها وفي امور كثيرة غيرها . ولكنهم كيفما التفتوا رأوا اطيب بقاع المعمور في حوزة اقوام غيرهم وانكلترا في مقدمتهم . فلا بدع اذا حرقوا الارض عليها غيظاً لوقوعها في سبيلهم حيثما ضربوا في مناكب الارض . فقد جاؤوا الوليمة متأخرين وان كانت مقاعدهم حولها قليلة وكان ازدحام شديداً فذلك من سوء بختهم لا من ذنب غيرهم ولكن سوء البخت يهيج الحفائظ و يثير الضغائن كثيراً

ولو ان المسألة انتهت عند هذا الحد فكف شهود الوليمة عن الاكل حيناً مدت المانيا يدها الى الزاد لما شعرت بغم او لكد لان ذلك يمكنها من تعويض نفسها عما فاتها بتأخرها عن الوليمة . فانها جلست حول المائدة سنة ١٨٨٤ وفي الثلاثين سنة التي انقضت منذ ذلك التاريخ التهمت شيئاً كثيراً ولكن مؤاكليها وخصوصاً انكلترا لم يكفوا عن الاكل . وبعد حرب البوير ظهر بغض الالمان لانكلترا بمظهره المعروف ثم جاءت مسألة مصر . ثم ان هذه المسألة من الشؤون التي تخص فرنسا دون المانيا ولكن نجاح انكلترا جعل كأس مرارة المانيا دهاقاً . وتلك التسوية المصرية استيلاء انكلترا على هذه البقعة وتلك الارض في شرق افريقية وغربها وبرما . وكانت المستعمرات الانكليزية في خلال ذلك تنمو وتزداد قوة ونشاطاً . واشتغلت روسيا وانكلترا بشؤون ايران وفرنسا وايطاليا بشؤون بحر الروم والمانيا واقفة مكتوفة اليدين تشاهد ما يجري ولا تحرك ساكناً . فنشأ عن سكوتها هذا مطالبتها « بالعوض » في الازمة المغربية فارتدت بالفشل والخذلان المعنوي للمرة الثالثة وزاد ذلك بغضها لانكلترا وحقدها عليها . ولا تزال كتابات الالمان الحماسية تشتهي باخطل الى التي خطبها وزراء انكلترا في تلك الازمة (ومنها خطبة المستر لويد جورج التي توعد فيها المانيا بصريح القول)

ففي هذا كله ما يكفي لتعليل بغض المانيا لانكلترا قبل الحرب ان لم يكف لتبريره . وكان ذلك البغض قد خف قليلاً على اثر المفاوضات الودية التي دارت على المشكلة البلقانية وتحول مجراه في جهة روسيا فلما اشتركت انكلترا في الحرب الحاضرة ضد المانيا وكان الرأي العام الالماني قد اطمأن اليها بعد تحسن العلاقات السياسية بين الدولتين يزاد سخط الامة الالمانية اضعافاً مضاعفة على انكلترا فاتهمت بانها غادرة ذات وجهين وساد الاعتقاد بان الحكومة الانكليزية دبرت هذه الحرب متعمدة وادارت حركتها وليس لها غرض الا سحق المانيا حسداً على ما اوتيت من النجاح في التجارة . وقد توسلت الى بلوغ هذا الغرض بحمل الحكومة الالمانية على الاعتقاد بصداقتها . ولست ادري صاحب هذا الرأي وانما ادري ان

الالمان قبلوهُ على علاتهِ حيثما وجدوا بلا قيد ولا تحفظ . فتراهم يرددونهُ في كتاباتهم وهم يعتقدون صحتهُ وعندهم ان السر ادورد غراي هو الاصل المباشر لهذا البلاء وانهُ انما ينفذ الخطة التي رسمها الملك ادورد

ويصعب علينا نحن الانكليز ان نصدق ان الالمان يعتقدون صحة هذا القول ولكن اعتقادهم بصحتهِ ثابت الاصل لا يمرّ بهِ ظل ريب . يعتقدون انهم فرائس مكيدة مدبرة يراد بها سحقهم وابادتهم . ويدير حركة هذه المكيدة انكلترا حسداً لهم على نجاحهم التجاري . كلّ ذلك وهي تدعي صداقتهم وحسن الظن بهم . وهذا وحدهُ هو سبب بغضهم الشديد لانكلترا واجماعهم على ذلك البغض . والسكوت عما نالهم من خيبة الآمال قانعين مستلمين . واحتمال الاعباء الثقيلة والضحايا الغالية في سبيلهِ . وعقدهم العزم الذي لا يتزحزح على الثبات حتى النهاية رغم كل شيء . ولما كانوا مقتنعين بانهم يقاتلون دفاعاً عن كيانهم من مكيدة نصبت لابادتهم فلا بدع اذا قاتلوا مستقتلين الى آخر نسمة من انفاسهم

ليست المسألة معرضاً للهزل والكلام يلقى على عواهنهِ بل هي معرض لجد ما بعدهُ جدّ . لان معناها ان هذا العراك سيسومنا من الجهد والتضحية اكثر مما نقدّر الآن بكثير وان النهاية لا تزال بعيدة وانها متى جاءت لا تكون نهاية . فان العواطف التي نشأت عن هذه الحرب ستدوم ميراثاً للاجيال التي تجيء بعدنا . وقتل الالمان للآمنين من غير المحاربين وسوء معاملتهم للاسرى — وهما نتيجة البغض الكامن في صدورهم لنا — أثرا فينا وحملانا على بغض بازاء ذلك البغض وكان غريباً عنا . ولست ارى لذلك آخراً . ولا يحسبنّ احدٌ ان الامة الالمانية يمكن ان تباد او تُضعف على الدوام . فان فكرة مثل هذه انما هي وليدة الغضب والجهل . فان الالمان سيبقون سبعين مليوناً وفي الجيل الآتي يصيرون تسعين مليوناً (اي بعد نحو ثلث قرن) لم مالاهل هذا الجيل من المواهب والقوى لحب العمل والقدرة على التنظيم وادامة السعي او بلغ الغرض ونظام للتربية بديع وسائر النظامات الاجتماعية التي وضعوها وكيفوها لتشييد صرحي القوة والثروة

ومما لا غنى عنهُ في هذا المقام القول ان انكلترا لم تدبر هذه الحرب ولا ارادتها ولا توقعتها . ولو كانت تضمر شرّاً وتدبر حرباً لاصغت الى اللورد روبرتس (يوم حضها على الخدمة العسكرية الالزامية) . كذلك لا صحة لما يعزو الالمان من نيات السوء الى الملك ادورد او الى السر ادورد غراي . ومن الوهم ان يقال اننا كنا نضمر البغض والحسد لهم . نعم اننا لا نحبهم ولكن الفرق واضح بين الامرين . وقد اخذوا يدركون انهم غير محبوبين في كل مكان .

هم يبغضون انكلترا لا الانكليز . ونحن نكره منهم من لم يكن صديقاً شخصيًّا لنا بمن غير ان نبغض المانيا . اما الحسد التجاري المزعوم فاقول قول عارف ان صناعنا وتجارتنا في مركز يُحسدون عليه ولا يحسدون احداً . وخلو قلوبهم من الحسد اعظم ضعف فيهم فان حسداً قليلاً منهم يعود بالخير عليهم . وان كانوا يحسدون احداً في العالمين فانما يحسدون الولايات المتحدة الاميركية لا المانيا . وسواء كان هذا او ذاك فان الحسد التجاري ليس بالسبب المعقول ولا المقبول للحرب في العهد الحديث

ويكاد اقناع الالمان بهذه الحقائق يكون من المستحيل فلا سبيل امامنا في اعتقادي لاصلاح هذا الحال الا السعي في اكتساب احترام اعدائنا لنا . ولا سبيل الى حملهم على احترامنا الا قهرهم . فان احترامك لخصمك هو الخطوة الاولى الى انصافه واظهار قوته حق قدرها . فاذا وجد الالمان انهم مخطئون في امر من الامور ادركوا انهم قد يكونون مخطئين في غيره لانهم قوم اهل عقل وحصافة . ثم انهم يحترمون القوة فلنريهم اننا اقوياء بل اقوى مما كنا . وقد اتى جيشنا الآن فعالاً مجيدة بددت رأي الالمان الاول فيه ونالت احترامهم له . ولكننا في انكلترا نفسها اقل منا نجاحاً في خارجها . وبعض السبب في ذلك اخلاق الاحبار عن الرعب المستحوذ على الامة وفشل التجنيد الاختياري . ثم ان ما بدا من قصورنا في اعداد معدات الحرب ومهما كثر المال والجدال الحائم على مسائل سباق الخيل ومسئلة المشروبات — هذه كلها تولد في قلوب الالمان احتقاراً لنا

ان قهر عدونا عمل يستنفد جميع قوانا فلنوجهها كلها اليه ولنسكت عن المناقشة في شروط الصلح « بعد الحرب » فان الكلام فيها الآن لهو باطل اذ ليس في وسع احد معرفة النهاية ولا سيما ان موت رجل واحد قد يوقع الخلل في كل حساب ويقلب وجه الحالة الحاضرة من اساسه . والمؤكد ان موت احد رجلين يفضي الى هذه النتيجة وان موت احد ثلاثة او اربعة غيرهم ربما افضى اليها ايضاً

والخلاصة اننا متى حزنا احترام الالمان واقنعناهم بانهم رفعوا انفسهم الى فوق ما يجب وحطوا غيرهم الى تحت ما يجب وبانا لم ندخل الحرب غدراً تعمد سحقهم وان انكلترا ليست غول الحسد والبغض والخيانة كما يصورون — فحينئذٍ نستطيع استئصال شأفة البغض المستحكم في صدورهم . لنقنع الالمان اولاً بانهم وضعوا كفاءتنا دون موضعها . وثانياً بانهم وضعوا جشعنا فوق موضعه . وكل سعي في بلوغ الغرض الثاني قبل الاول سعي عقيم غير مجدٍ بل هو هفوة لا تغتفر » انتهى ملخصاً

الرحلات الافريقية القديمة

٣

الرحلات البرتوغالية

ذكرنا في المقالة السابقة ان العرب توسعوا في الفتوحات منذ القرن الثاني للهجرة وامتلكوا كل شواطىء افريقية الشمالية والشرقية والغربية وتوغلوا في داخلية البلاد الى ان ضعفت شوكتهم بفقدان العصبية وضعف شأن الخلافة العباسية في بغداد والفاطمية في مصر والعلوية في بلاد المغرب وخضعوا للدول التركية والتترية حتى سقط مجدهم وتفرقت كلمتهم واشتغلوا بالمنازعات القومية والدينية الى ان اشتد ساعد الاسبان والبرتوغال في الاندلس فطردوا العرب منها · ولما قويت شوكة الافرنج قام البرتوغاليون سنة ١٤٠٠ فجهزوا السفن الكثيرة والمراكب الكبيرة وارسلوها الى سواحل افريقية فطردوا العرب من بلاد السنيغال رشط التاج وكل السواحل الغربية · وكانوا يتنافسون في تحصيل اسباب الفخار والتوسع في الاسفار ويردفون الغزوة بالاخرى حتى ان نساء لشبونة عاصمة ملكهم كنّ يحرضن رجالهن على السفر وجوب البحار وغزو العرب ويدفعن حلاهن عن طيبة خاطرهن الى امراء البحر لتجهيز السفن · وكن يأبين التزوج بمن لا يذهب لغزو العرب وطردهم من بلادهم · ومما ساعد البرتوغاليين على تلك الغزوات البحرية استعمالهم البوصلة (او الحك) لمعرفة الجهات فانها جرأتهم على التوغل في عرض المحيط فاكتشفوا اولاً الجزائر التي على السواحل الغربية حتى رأس الرجاء الصالح ثم اتجهوا شمالاً فاكتشفوا السواحل الشرقية كلها حتى باب المندب وشواطىء حضرموت وخليج العجم ومن هناك توصلوا الى اكتشاف طريق الهند كما سيأتي بيانهُ

ففي سنة ١٤٣٣ اكتشفوا جزيرة ماديرا واسسوا فيها مستعمرات وغرسوا فيها قصب السكر والكرم ودخلوا بلاد غينيا وسنيغامبيا رشط العاج وعصاب وملكوها وزرعوا ارضها واخذوا منها الخشب الى بلادهم

وفي سنة ١٤٤٣ اكتشفوا بلاد السنيغال وسواحل الكرنفو وانجولا وجلبوا منها الارقاء والعبيد السودانيين واخذوهم الى لشبونة وهي المرة الاولى التي رأى فيها اهلها الزنوج وذوي الشعر الجعد والاجسام المطلية بالافاويه والزيوت · واكتشفوا جزائر سانتا ماريا وسانتا هيلانه وفرناندو بو وغيرها · وفي سنة ١٤٥٦ اخذ القبطان بطرس القنطرة بلاد سيراليون من العرب وتألفت فيما بعد في لشبونة شركة برتوغالية لاكتشاف سواحل افريقية كلها

(١) خريستوفوروس كولمبوس مكتشف اميركا (٢) اميركوس فسبوس الذي ادعى اكتشاف البر الاميركي الاعظم قبل كولمبوس وسميت اميركا باسمه (٣) جاك كارتييه مكتشف نهر سنت لورنس في كندا (٤) فرنند كورتز مكتشف برتوغالي (٥) فكودي غاما البرتوغالي مكتشف طريق الهند بحراً (٦) فرنسسكو بيزارو الاسباني مكتشف بلاد بيرو (اميركا الجنوبية) وفاتحها (٧) فرديننند مجلآن البرتوغالي وهو اول من دار حول الارض

مقتطف اكتوبر ١٩١٥
امام الصفحة ٣٥٦

وطريق الهند فجهزت السفن الكثيرة العدد والعدد وامدتها بالرجال والذخائر وكانت تنتقل من بلاد الى اخرى ومن فرضة الى غيرها في السواحل الغربية وتتجر مع اهلها بالعاج والذهب والطيور الغريبة والقرود والطيوب والافاويه واحتكر ملوك البرتوغال لانفسهم تجارة العاج فارسل يوحنا الثاني جماعة من قومه على سفن له الى سواحل افريقية فاكتشفوا في طريقهم جزائر سان توماس والبرنسس وشواطئ العاج ونجريا وسواحل الكونغو وزرعوا فيها القطن واسسوا المستعمرات

وفي اواسط القرن الخامس عشر هاجر الى هذه البلاد اليهود المطرودون من اسبانيا والبرتوغال فاستعمروها واتخذوا العرب والزنوج عبيداً لهم ولم يزل الى الآن في تلك البلاد السحيقة بقية منهم وهم يهود الا انهم اقتبسوا عادات الزنوج الاصليين في معيشتهم

وفي سنة ١٤٧٢ اكتشف القبطان البرتوغالي يوحنا ستنارم بلاد ساحل الذهب فاخذها من سكانها العرب وهاجر اليها البرتوغاليون واستوطنوها وبنوا فيها المدن والقلاع ثم دخلوا بلاد البنيان والكونغو ومنها نقلوا الى بلادهم زراعة الفلفل وغيرها من البهارات والفاكهة . وفي سنة ١٤٨٦ اكتشفوا اقليم البنغال وانتهى الامر ان برتلمي دياز الرحالة البرتوغالي الشهير واصل اكتشافاته جنوباً حتى وصل الى رأس افريقية الجنوبي بعد ما عانى الاهوال من العواصف والانواء وسماه « رأس الاهوال » ولكن يوحنا الثاني ملك البرتوغال ابدله باسم « رأس الرجاء الصالح » . وحينئذٍ تيقن البرتوغاليون ان في وسعهم الطواف حول افريقية بحراً اذ عرفوا ان هذه القارة جزيرة او شبه جزيرة . وفي سنة ١٤٩٥ دعا ملك البرتوغال القبطان الشهير والرحالة العظيم فاسكو دي غاما للسفر الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فجهز له اسطولاً من المراكب الكبيرة واسده بالمال والرجال فخرج فاسكو من مرفإ لشبونة باحتفال عظيم وشيعه الملك وعظماؤه ورجال بلاطه بين هتاف الرجال وزغردة النساء . فاجتاز السواحل الغربية واستولى على جميع السواحل والبلاد التي مر عليها في طريقه حتى وصل الى رأس الرجاء الصالح . ثم تحول بسفنه شمالاً واستولى على السواحل الشرقية فرسا اولاً عند بلاد سماها نتال اي المولد باسم المدينة التي كانت مسقط رأسه واخذ بلاد كفرورريا واكتشف في طريقه مدغشكر وجزائر القمور وانجوان ولم يزل يسير شمالاً محاذياً السواحل حتى وصل الى بلاد سفالة (موزمبيق) فاحتلها ورفع عليها العلم البرتوغالي وهناك اكتشف مناجم الذهب القديمة التي كانت معروفة منذ القدم عند المصريين والرومان والعرب . ويقال انها بلاد توشيش التي ورد ذكرها في سفر الملوك وقيل ان سليمان

الملك كان يأتي منها بالذهب والفضة والقرود والعاج والطواريس (ملوك اول ص ١٠) وبنى فاسكو في اكثر البلاد التي احتلها القلاع والحصون ووضع فيها بعض الحامية من رجاله وجعلهم وكلاء له لشراء الذهب والعنبر والمعادن والعاج وقد وجد الرحالون البرتوغاليون في اسفارهم هذه كثيرين من تجار العرب عند شواطئ التنال والترنسفال وموزمبيق يحملون تراب الذهب في الاكياس و ينقلونها الى سفنهم و يأخذونها الى زنجبار وعمان وشبه جزيرة العرب

ثم استولى هذا القبطان الشهير على كل الممالك العربية الافريقية الشرقية وهي قطوة وسمداني وشيكوه وبثة وكاوه وبنجاني وملندة وكلها كانت ممالك زاهرة عامرة تحت حكم سلاطينها المستقلين من العرب وقد ذكر ابن بطوطه اكثر هذه البلاد وحكامها في رحلته المعروفة

ولما وصل القبطان ورجاله الى مصب نهر زمبيسي الكبير ركبوا فيه بسفنهم وبنوا على ضفتيه القلاع والفرض واقاموا فيها اناساً من قومهم للمحافظة عليها وفتحوا اسواقاً عظيمة للتجارة

ثم استولوا على بقية الشواطئ الشرقية فرسوا في ممبسة وكانت وقتئذٍ مدينة تجارية عامرة فسر البرتوغاليون بها لانهم لم يروا مدينة عظيمة مثلها وكان فيها بيوت فخمة وقصور ومبانٍ فاخرة واسواق عظيمة . قال ملطبرون في جغرافيته القديمة « ان اهالي ممبسة كانوا قبل دخول البرتوغاليين من قبائل العرب العرباء وكلهم على حضارة يعيشون بالبذخ والترف وعندهم بعض العلوم والصنائع وملمون باحوال التجارة ولهم فيها طرق مفتوحة في داخلية البلاد وسفنهم تمخر في انهارها وتتجر مع عمان وحضرموت والهند »

ثم استولى القبطان فاسكو على سلطنة ملندة شمالاً وكانت زاهية زاهرة كثيرة المباني واسعة التجارة ورأى فيها جماعة من البنيان وهم طائفة من التجار الهنود فاخذ بعضهم الى سفنه ليدلوه على طريق الهند . وبعد ان استولى على سلطنات لامو وملندة وكلوة ومقدشو وجميع السواحل الشرقية وجزائرها وطد قومهُ اقدامهم فيها فبنوا فيها القلاع الحصينة ولم تزل اثارها باقية الى الآن وعليها كتابات بلغتهم وعلى بعضها كتابات برتوغالية ازاء الكتابة العربية القديمة . ثم واصل دي غاما سفره الى الهند ورسا في سواحلها وجلب منها البضائع ورجع الى بلادهِ . وفي سنة ١٥٠٠ خرج القبطان الينوزا البرتوغالي ببر أكب كثيرة من لشبونه واجتاز بها سواحل افريقية الغربية ثم دار حولها متعهداً اثار من سبقهُ من الرواد وموطداً دعائم المستعمرات البرتوغالية وظل يسير شمالاً حتى اجتاز بوغاز باب المندب الى البحر الاحمر ثم ارتاد سواحل شبه جزيرة العرب بين عدن والشحر وحضرموت ورجع الى بلادهِ

وفي سنة ١٥١٣ استولى البوقرق الاكبر البرتوغالي الشهير على جزيرتي زنجبار وبمبا وكان ملوكها واهلها وقتئذٍ من اليعاربة اصحاب الشوكة والصولة وجرى بينهُ وبينهم حروب عديدة برًّا وبحرًا مدة سنين كثيرة واخيرًا تم النصر للبرتوغاليين ففرضوا على ملوك تلك البلاد الخراج والمغارم ودخلت جميع ممالك العرب في طاعتهم . وكان في السواحل الشرقية بلاد يحكمها مشايخ من العرب بالشورى ولذلك دعاها مؤرخو البرتوغال جمهورية بروا فالزموا اهلها ان يدفعوا لهم كل سنة خمسمائة مثقال ذهب . وكان لملك البرتوغال ايراد سنوي من هذه الممالك العربية يؤخذ ويصرف ثمنًا لجلب البضائع من الهند الى لشبونه . فانفتحت بذلك للبرتوغال اسباب الغنى والسيادة على سواحل افريقية كلها شرقًا وغربًا حتى خليج العجم وعمان والهند . واخذوا عن العرب كثيرًا من العلوم والفنون والصنائع واصول التجارة وعلم اسفار البحر وعرفوا المواقع والمرافئ والخلجان . وقد وصفهم مؤرخو البرتوغال في كتبهم بانهم في سعةٍ من العيش والحضارة وللاطيفهم شوكة وصولة وانهم من ذوي الكرم والثروة . وكان لهم تجارة واسعة مع سواحل العرب وحضرموت والبصرة وعمان والهند وكانت كل سلطنة مستقلة عن الاخرى في احكامها ومعاملاتها

وفي سنة ١٥٧٣ وصلت حملة بحرية برتوغالية واجتازت السواحل الشرقية ودخلت في داخلية البلاد طلبًا لاكتشاف مناجم الذهب وبعد مشقات كثيرة وحروب شديدة مع العرب والزنوج وصلوا الى ماتيكا في داخلية بلاد سفالة (موزمبيق) واكتشفوا معادن الذهب القديمة التي ذكرناها ولكنهم وجدوا الاراضي قاحلة جدباء وايقنوا انهم لا يقدرون ان ينتفعوا منها بشيء لانهم لم يكونوا يعلمون طرق الحفر والنقب الحديثة وليس عندهم آلات للنزول الى اعماق الارض وبلوغ عروق الذهب وكان العامل يشتغل اياما ولا يستخرج من عمله اكثر من خمسة دراهم فتركوا البلاد ورجعوا الى بلادهم

ثم ارسل ملوكهم عمالاً لهم الى تلك الاصقاع بعد ان رسخت اقدامهم فيها وكان اولهم القبطان فرنسز الفارس وامتد حكمهم نحو اكثر من مائتين وخمسين سنة في مسقط وعمان وخليج العجم وعمبسة ولامو وملندة وكلوة وزنجبار وسلطنة ويتو وكل ممالك افريقية الشرقية وجزائرها الى سنة ١٧١٥ حين قام الامام الاكبر سعيد بن سلطان بن سعيد بن سلطان ابن مالك بن ابي العرب بن سلطان بن مالك اليعربي القحطاني النبهاني امام مسقط وعمان الملقب بقيد الارض فاخرج البرتوغاليين من بلاده واجلاهم عن مسقط وخليج العجم ثم جهز السفن العديدة وارسلها مع جيش عظيم من العرب الى زنجبار وبمبا وسواحل افريقية الشرقية

وطردهم من تلك الاصقاع وحاربهم في موانع بحرية ومعارك برية يطول شرحها واخذ البلاد كلها منهم ودك حصونهم وقلاعهم واقام عمالاً لهُ في لامو ومبسة وملندة وبسته من مشايخ آل المذروعي . وفي زنجبار وبمبا اناب عنهُ امراء من آل تيمان ولبثت تلك البلاد تحت سلطة ائمة اليعاربة الى ان قام سنة ١٧٤١ الامام السيد احمد بن سعيد بن احمد بن محمد ابو سعيدي اليمني الازدي جد الاسرة البوسعيدية المالكة الآن في زنجبار وعمان وطرد اليعاربة من عمان وكل شواطئ افريقية ودانت لهُ البلاد كلها وامتدت سلطتهُ من عمان وخليج العجم وافريقية الشرقية حتى جزيرة القمور وشمالي جزيرة مدغشكر . وبعد ذلك انفصلت سلطنة زنجبار عن سلطنة عمان في اخبار طويلة لا سبيل لذكرها الآن

اما البرتوغاليون فتقلص ظلهم من كل البلاد الافريقية الشرقية ولم يبق تحت حكمهم سوى اقليم موزمبيق . وسنأتي في عدد تالٍ على وصف الرحلات الحديثة في اكتشاف افريقية

ديتري نقولا

التتانوس والتلقيح

التتانوس احد الامراض التي تتفشى في ميادين القتال وعلى آثار الجيوش الزاحفة كالتيفويد والتيفوس والكولرا والدوسنطاريا وهي اشهرها . وهو خلل يطرأ على الجهاز العصبي عامة او الحبل الشوكي خاصة يصحبهُ ألم في عضلات البدن كلها . ومعظم الاصابات به تصحب حدوث جرح في اطراف الجسم ولاسيما اذا تعرض الجسم للبرد بعد حدوث الجرح . وقد اكتشف طبيب ياباني ان سبب المرض مكروب يكون في التراب ويتكاثر حيث يجمع زبل الخيل والمواشي . فان هذا المكروب يفرز سمًّا يتصهُ الجرح ويفضي امتصاصهُ الى الخلل المذكور

واول اعراض هذا الداء تصلب العضلات المجاورة للجرح وتشنجها ثم عضلات الفك خاصة معما يكن موضع الجرح من الجسم حتى اعطي التتانوس في الانكليزية اسم lockjaw اي الفك المقفل وفي العربية اسم الكزاز من كزَّ صلب وانقبض . والغالب ان ينتهي هذا الداء بالموت اختناقًا او اعياء

وقد استخدمت علاجات كثيرة لمعالجته فلم تأتِ بالفائدة المقصودة واكتشف مصل مضادٌ لهُ وجرب في الخيل فافاد فائدة كبيرة . اما في الناس فلم يفد فائدة تذكر . ولكن اذا صح ما كتب طبيب اخيراً الى جريدة التندرد الانكليزية اصبح الرجاء في هذا المصل

اعظم مما كان قبلاً . فقد ذكر في مقالته ان جروح الجنود في ساحات القتال تعرضهم لدخول مكروبات التتانوس ابدانهم لان الجروح كثيراً ما تتلوث بالتراب او بالمواد البرازية الملوثة بهذه المكروبات . وقد يكون الجرح خدشاً صغيراً ولكن ذلك لا يمنع دخول المكروبات . ثم قال

« وليس سبب المرض انتشار المكروبات في الجسم بل افرازها لسم يؤثر في خلايا الحبل الشوكي والدماغ . وقد حقن فليار حيواناً بمكروبات التتانوس الخالية من السم فلم يصب بالمرض . ولكن اذا أصيب نسج الجلد بآفة في موضع الحقن حدث التتانوس . واصابته تكون باسباب شتى منها اضافة احد العقاقير الى المكروبات وحقن الجسم به كالحامض اللبنيك مثلاً . ومنها انكسار عظم في المكان المجاور لموضع الحقن . وادخال مادة مهيجة كالتراب او شظية خشب . على ان اعظم هذه الاسباب ان يدخل الجسم مع المكروبات المذكورة مكروبات اخرى كالتي تحدث التهابات تفضي الى افراز الصديد او المدة . وبعض هذه المكروبات موجود دائماً على الجلد كالمكروبات المسببة للدمامل والبثور العادية كحب الصبا او غيره . ومن رأي الدكتور كيتاساتو الياباني مكتشف مكروب التتانوس ان هذا المكروب يموت في الجرح ولا يحدث التتانوس لولا الاسباب المذكورة

اما حصول المناعة في الحيوانات القابلة للتتانوس فيكون بحقنها بمصل مستخرج من سم المكروب كما هي الحال في سائر الامراض التي اكتشف مصل مضاد لها . وهذا المصل يحضر بطرق شتى تستعمل لتخفيف فعل السم مثل مزجه باحد مستحضرات اليود . والشفاء يتوقف على الاسراع في معالجة المرض . واول ما يجب عمله معالجة الجرح بمادة مضادة للفساد لقتل المكروبات المساعدة لمكروب التتانوس . فاذا ظهر التتانوس وجب معالجة الجرح موضعياً ومعالجة الجسم بحقنه بالمصل . ولما كان للاسراع في المعالجة ما كان من الشأن في الشفاء وجب فحص المدة المفرزة من الجرح ليتحقق هل تحتوي على مكروبات التتانوس . ثم ينبغي ان تكون الجرعة (الحقنة) قوية . وقد قدر بير بن البكتريولوجي الالماني قوة المصل اللازمة للانسان بقوله انها ينبغي ان تكون بحيث ان غراماً واحداً من المصل يكفي لوقاية ١٠٠ مليون غرام من الغيران بالوزن . ولكن معهد باستور وزع للاستعمال فصلاً قوته عشرة اضعاف هذه القوة والحقنة منه ١٠٠ ملیغرام مكعب

والخلاصة ان علاج التتانوس بين ايدينا . واستعماله العملي خير دواء لشفاء الداء بشرط ان لا يقف الغرض حجر عثرة في هذا السبيل »

كيف يجب ان نكتب

نقرأ كتابة بعض الكاتبين فان كنت لبيباً فهمت لاول اشارة تبدو فيها ان غرض الكاتب الفاظ كتابته لا معانيها وانهُ اقرب الى الصائغ والمطرّز منهُ الى الفلاح الذي يبيعك القمح بالاردب لا بالحبة . وانهُ انما يعنى بالديباجة والاسلوب لا بالمعاني المتخللة لها — بالحرف لا بالروح

لست ممن يكره الصياغة او ممّن يقول بالباس المعاني حلة من الالفاظ لا تنزع ولا تتبدّل . ولكن كاتباً يستعمل لفظة اهريق مثلاً حيث يريد اهرق او أُريق لا يعني الاّ الاشتباه فيهِ ونسبة سوء النية اليهِ لانهُ انما يقصد عرض بضاعتهِ للتباهي بها وليس لهُ من الكتابة غرض آخر . ولو امكنني ان اثبت ان لفظة « شُدِهْتُ » التي استعملها ابو الطيب في بعض شعرهِ حيث اراد « دُهشْتُ » لم تكن متداولة على الالسن في عصرهِ وانما اراد بها عرض بضاعتهِ لما ترددت طرفة عين في اتهامهِ بسوء النية في دبياجتهِ الشعرية او ما تسميهِ بالتقعّر والاغراب

وغريب ان تكون تقيصة الاغراب هي المزية الوحيدة التي احتكر بها بعض الكتاب صناعة الكتابة . ووجه الغرابة ان تكون النقيصة مزية لا الفضيلة . وان يستأثر اهل الالفاظ بهذه الصناعة لا اهل المعاني . فان في ادمغة بعض « الخارجين عن هيئة الكتاب » من المعاني ما لو جرؤوا على اظهارهِ لرأيتَ عرائس ابكاراً تزفّ الى الآذان وتدخلها بلا استئذان . ولكن يمنعهم من اظهارها خوف الكتابة ورهبة المتمّين اليها والمحتكرين لمصادرها ومواردها والمدعين لها سفاهاً والمحتقين بها ظلماً . قال شاعر انكليزي اسمهُ غراي في مرثاة هي اشهر ما نظم وقد وقف على مقبرة قرية يندب من فيها من القرويين السذّج : كأَيّن من زهرة تنبت في مجاهل الصحراء فلا تتمتع ببهجة الوانها عين ولا يتعطر بشذاها انف تصيح زاهية ناضرة ثم تمسي ذاوية ذابلة وتموت ميتة المنسي المهمل بين يوم وليلتهِ . ولعل في هذه الحفر من اهل الاكف الخشنة الملمس مَنْ لو أُتيح لهُ تعلّم العزف على العود لاصبحنا نغمات يتضاءل عندها غناء الاهات الشعر والموسيقى » . انتهى بمعناهُ او نحوهِ

هذه حال الكتابة . تقف وانت الكاتب الليق تكلّم بعض العامة فلا يترك امامك مجالاً للقول فتصغر نفسك عندهُ حتى كأَنك انت العامي وكأَنهُ هو الاديب . فلا يسعك

حينئذٍ الاَّ القول انهُ لو أتيح لهُ ما أُتيح لك لبزّك ونحمد الله على ذلك والاَّ لذهبت ضياعاً انت وادبك وعلمك . وكثيراً ما يكون وهو على هذا الحال احسن منك وانت على احسن حالاتك . ولولا غول ادبك الذي تحتكر بهِ صناعتك وتخيف غير المنتمين اليها لكانوا احق منك بلقبك وادبك وكنت احق منهم بلقبهم وحرفتهم

كتب جندي روسي من العامة الى صديق لهُ في انكلترا كتاباً نشرتهُ الشمس ثم انشأت عليهِ المقالة الافتتاحية الآتية نعربها لانها تعبّر عن شعور مشترك في دولة القلم قالت :

« نشرنا بالامس كتاباً من جندي روسي في ساحة الحرب الى صديق لهُ انكليزي يصف فيهِ ثقة الجنود الروس بحلفائهم الانكليز ويقول ان ما تعلّمهُ في المدارس قليل يمنعهُ الاعراب عمّا في نفسهِ اعراباً وافياً بالمراد . على ان كتابهُ لا عيب فيهِ من حيث بساطتهُ الطبيعية الجميلة . ونحن لا نرتاب انهُ لم يتعلّم الى الحدّ الذي يجعل المرء يظن ان الكتابة يجب ان تختلف عن الكلام العادي . فلذلك استطاع ان يقول ما يريد كأنهُ يتكلّم وهذا ما يجعل التعليم والتهذيب صعبين اومستحيلين على كثيرين فانهم يخشون اذا كتبوا كما يتكلمون ان يظهروا غير متعلمين ولا مثقفين فلذلك يساقون في تيار لغة ليس عليها من مسحة الادب الاَّ ما تلقفوهُ من بعض الصحف السيارة . وهذه اللغة لا تقول ما يريدون ان يقولوا — فان كلامهم العادي وحدهُ هو الذي يفعل ذلك — ولكنها تعبّر عن عواطفهم الاجمالية كأنها عواطف جمعية لا عواطف رجل واحد . وهي ليست في الحقيقة الاَّ صورة اخرى للفتهم الطبيعية وهذه لا يمكن افراغها في قالب آخر ما لم تفقد شيئاً من رواثها ورونقها لانها طبيعية والصورة الاخرى صناعية ولانهم اذا ارادوا ان يتكلموا عن شيء انتهم الالفاظ الصحيحة منقادة عفواً بلا طلب ولا تكلُّف وكل ما عداها خطأ لما فيهِ من الكلفة وآثار التصنع

« والرجل الذي اعتاد الكلام البسيط في الاشياء البسيطة لا يستطيع فجأة ان يحوّلهُ كلاماً مركباً مختلطاً . واللغة العالية التي يلجأ اليها الكتبة الاغرار انما هي تقليد للكلام المركّب الذي يعمد اليهِ الكتّاب الراسخون عند الكتابة في الاشياء المركبة . ولا بأس بهذا الطراز حيث الفكرة مركبة ولكنك اذا استخدمتهُ حيث الفكرة بسيطة سهلة فانهُ انما يضعفها ويذهب طلاوتها . وعليهِ اذا اطّلعنا على كتب واردة من ساحات القتال تدهشنا جودتها حينما يكتب الكاتب كما يتكلم ورداءتها حينما يحاول تقليد ما قرأ . ففي الحالة الاولى يخبرنا بما حدث لهُ . وفي الثانية لا يأتينا الاَّ باشياء كلية عامة لانهُ اكثر تفكيراً في اسلوبهِ منهُ فيما جرى لهُ

« وهذا الجندي الروسي لم يكن يفكر في دباجته فقد قال في كتابه « لقد اقترح بعضهم ان يكتب اليكم باسمي رجل اسمى مني ادباً واكثر علماً . ولكنني لم اشأ ذلك . وآمل انكم تكونون اكثر سروراً بكتاب رجل غير متعلم مثلي . فان ما أكتب هو الصدق بعينه » . ولو انهُ اكثر تعلماً مما هو ما استطاع ان يقول الحق الصراح على ما يعلمهُ وانما كان يورد رأيهُ على الطريقة التي يعبّر بها غيرهُ عن ذلك الحق . فان الحق الصراح انما يقال بالالفاظ التي تجلي امام قائلهِ وتمثل لهُ . فاذا نبذها ووضع في موضعها الفاظاً اخرى يظنها اعرق في الادب بطل قولهُ للحق

« ان في الكتابة بساطة غير مجلوبة يستطيع بها الكاتب ان يقول بعض اشياء بسيطة . وفيها صناعة وتطرية يمكنانهِ من الاعراب عن افكارهِ وعواطفهِ . ولكن الكاتب الذي هجر الخلة الاولى ولم يصل الثانية لا يقول شيئاً ولا يعبر عن شيء — فقد اسلم بأ للكلام من غير ان يكسب الآخر . وتراناً نقول عادة ان الذنب ذنب نظامنا التعليمي وليس الامر كذلك فانهُ متى تعلّم احد القراءة فهو لا يتعلم قراءة الثاقه واذا قرأهُ فانما الان تهذيبهُ سطحي . واما الان في مزاجهِ ما يحبب الثاقه اليهِ . وان نظامنا التعليمي في حاجة الى ما يخلّص تمام التخليص بين لغة الفكر والعواطف واللغة التي يراد بها تقرير الحقائق مجردة عن الغواشي والحواشي . ولتكن القاعدة لذلك ما يأتي : اكتب كما تتكلم ما دمت تستطيع ذلك بلغتك العادية اذ ليس هناك لغتان واحدة للكلام واخرى للكتابة . واللغة انما تختلف متى اردت ان تكتب اكثر مما تقول . وليس غرض الكتابة ان تعرض بضاعتك وتري الناس مبلغ ما قرأت بل ان تقول ما تريد متوخياً الصراحة والايجاز ما امكن

« واعلم ان معظم البضاعة المزجاة في الادب مصدرها اناس ليس لهم ما يقولون فلذلك لا يستطيعون استخدام اللغة العادية ولا لغة العواطف والفكر بل يلجأون الى لغة هي تقليد الثانية وغايتهم اقناع انفسهم واقناع السوى بانهم يعبرون عن عاطفة او عن فكر في حين انهم لا يعبرون عن شيء . وهذا التقليد شديد العدوى لسوء الحظ ومعظم الذين يُعدّيهم هم الذين عندهم امور بسيطة يريدون ان يقولوها فلا يطيقون ذلك للسبب المتقدم

« والخلاصة ان الكتابة اذا كانت غير مجلوبة فهي سهلة جداً . واذا كانت مجلوبة بتطرية وفنًا باصول وصناعة قائمة بنفسها فهي صعبة جداً . اما اذا لم تكن احد هذين الامرين فهي مستحيلة »

هذا ما قالهُ التيمس وهو كلام لا غبار عليهِ . وفي اعتقادي ان الجري على هذه القاعدة اسهل في الانكليزية منهُ في العربية بمراحل لتقارب لغتي الكلام والكتابة في الاولى وتباعدهما في الثانية فان الانكليز يجيدون بالكتب والرسائل التي تكتب بلغة بسيطة صحيحة حتى عدوا في مقدمة كتابهم بعض الذين لم يجيدوا غير كتابة الكتب وحتى قال ثكري وهو من اكبر كتاب الروايات « ما نمت ليلة الاَّ ورسائل هَوَل بجانبي . وما ملتها قطُّ بل كنت دائم الاعجاب ببساطتها وسهولتها » . وهَوَل هذا احد الذين اشتهروا بكتابة الرسائل دون غيرها . قابل بين رسائل هَوَل ورسائل الخوارزمي او الهمذاني وغيرهما ترَ عظم الفرق بين موضوع اعجابهم وموضوع اعجابنا وتعلم لمَ يجيد الانكليزي كتابة الكتب والرسائل ولو تخرج من المدارس البسيطة ولا يجيدها العربيّ (اريد ابن اللغة العربية) ولو تخرج من المدارس العالية . وليس لذلك من سبب سوى ما بين لغتي الكتابة والكلام في العربية والانكليزية من الفرق الكبير كما تقدم القول مما يجعل الجري على قاعدة التيمس في العربية متعذراً الآن

ولا علاج لذلك الاَّ بالتقريب بين لغتي الكلام والكتابة في العربية . والتقريب بينهما يكون باقتباس الالفاظ الفصيحة من الثانية وزجها في الاولى فبالعادة ومرور الزمان تزول عنها آثار الغربة والغرابة وتصير « متبلّدة » في وطنها الثاني . وهذا ما هو حادث في لغة جرائدنا . فانها صحيحة اجمالاً على قدر ما يسمح بهِ وقت صحف يومية مثلها وهي كلّ يوم تضيف الى جعبتها كلمات جديدة ولقتبس الفاظاً جديدة يفهمها القارئ البسيط بالمزاولة والتكرار . حتى انك تسمع البوابين وباعة الصحف والحمّارة يتحدثون بلفظة « النسبة » من هذه الجريدة او تلك كأنها كلمة عادية رضعوها مع اللبن لا تتوقف اذهانهم عند معناها ولا تلتفت عند لفظها

كذلك يساعد على اصلاح هذا الحال وتوحيد لغتي الكلام والكتابة ما امكن — ان يقوم كاتب عصري فيجمع كتابتهُ بين اللغتين او اللهجتين فيتهافت القراء عليها ويتخذها الكاتبون نموذجاً لكتابتهم ومثالاً ينسجون عليهِ (ن . ش)

جزيرة ارواد

جاءت الانباء في اوائل الشهر الماضي بان بحرية الاسطول الفرنسوي في بحر الروم احتلوا جزيرة ارواد على ساحل سورية في آخر اغسطس الماضي ورفعوا عليها الراية الفرنسوية. وارواد هذه جزيرة صغيرة في منتصف الطريق بين طرابلس الشام واللاذقية وهي اقرب قليلاً الى الثانية منها الى الاولى والى الجنوب الغربي من بلدة طرطوس وعلى مقربة منها و يمكن الوصول اليها من طرطوس في زورق من زوارق الصيد التي تكثر في تلك الجهة في اقل من ساعة. وهي الجزيرة الوحيدة التي يصح ان يطلق عليها هذا الاسم في جوار ساحل سورية وهي تبعد عن البر نحو ميل وربع

وهذه الجزيرة صخر كبير غير منتظم التنضيد طوله نحو ٢٦٤٠ قدماً وعرضه نحو ١٦٥٠ قدماً وسطحهُ مغطى بطبقات سميكة من الرمل ومشغول كلهُ تقريباً ببلدة ارواد وهي بلدة حقيرة سكانها نحو ٢٣٠٠ نسمة لا حرفة لهم سوى نقل البضائع على سفنهم وصيد السمك واستخراج الاسفنج. وفي الجزيرة اعمدة كثيرة وخصوصاً في ما يلي الميناء. ولا يزال حول الجزيرة انقاض سور عظيم ولاسيما في الجهة الغربية منها ويختلف علو ما لا يزال قائماً منهُ هناك من ٢٨ قدماً الى ٣٨ قدماً وهو مبني على طرز البناء القيقلوبي الضخم. وفي اعلى قمة في الجزيرة انقاض قلعة عربية قديمة. وقد كان قرب الميناء قلعة اخرى عفت آثارها. وفي الجزيرة صهاريج كثيرة يستقي منها اهلها وفي الجهة الشرقية منها مما يلي البر نبع ماء عذب يفور من البحر

مجمل تاريخها

ارواد او ارادوس او رواد كلمة عبرانية معناها التيه او ملجأ الهاربين كان فيها كثير من ابنية الفينيقيين واليونانيين مما لا تزال اثارهُ ماثلة حتى الآن. وكان لها على رواية المؤرخ كاريك ميناءان صغيران في الجهة الشمالية الشرقية. وفيها الآن كثير من الآثار والنقوش والكتابات اليونانية ومعظمها مستهل بكلمتي السناتو والشعب

اما تاريخها فقديم جداً وقد ذكرت مرات كثيرة في البقية الباقية من تاريخ الفينيقيين فانها كانت ثالث مدنهم بعد صور وصيداء. وذهب بعض المؤرخين الى ان الصيدونيين هم الذين اختطوا هذه المدينة وخالفهم آخرون فقالوا ان الشهادات التاريخية الكثيرة تثبت ان بانيها هو الارودي الذي جاء ذكرهُ في التوراة او اقرب رجل اليهِ من ذريتهِ فلم تكن لذلك

احدث عهداً من صيداء . وتقدمت ارواد في عهد الفينيقيين تقدماً عظيماً واتسع نطاق تجارتها وجاب تجارها الامصار وشقت سفنهم عباب البحار وذُكر اهلها في الكتب المقدسة فقال النبي حزقيال عنهم في كلامهِ عن مدينة صور « اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيك » وقال « بنو ارواد مع جيشك على الاسوار من حولك الابطال كانوا في بروجك علقوا اترسهم من حولك هم تمموا جمالك »

وكانت حكومة ارواد ملكية على رواية سترابو المؤرخ ثم صارت جمهورية . وكانت مملكتها متسعة النطاق تشمل الجانب الاكبر من شمال سورية (من جبيل الى اللاذقية واوصلها بعضهم شمالاً الى مصب نهر العاصي في البحر المتوسط) وظلت في عزة ورفعة يهابها الاعداء ويخطب ودها الاصدقاء حتى جاء الفتح الفارسي فدنت لحكمهم وصار ملوكها يدفعون الجزية للفرس

وبعد ما انتصر الاسكندر على داريوس في معركة ايسوس (سهل الاسكندرونة) سنة ٣٣٣ قبل المسيح زحف على سورية ليدوخها قبل ان يسير على بلاد فارس فالتقى بهِ سترابو ابن جيرو ستراوس ملك ارواد وقدم اليهِ تاجاً ثميناً وسلم اليهِ جزيرة ارواد ومدينة ميراثوس (عمريت) وبعض مدن اخرى كانت خاضعة لارواد فرضي الاسكندر بهذا التسليم بالسرور والارتياح اما جيرو ستراتوس ملك ارواد فكان قد سار مع كثيرين من ملوك فينيقية في الاسطول الفارسي لقتال المكدونيين

ولما استبد السلوقيون بسورية كانت ارواد داخلة في ما عنا لم من البلاد وقد ذكرت كثيراً في تاريخ دولتهم واشتهرت خصوصاً باعداد السفن للحروب التي اثارها ملوكهم ولكنها كانت قد انحطت كثيراً عن منزلتها السابقة وما زال نجمها في افول حتى انقسمت مملكة السلوقيين على نفسها فعاد ذلك عليها بفائدة عظيمة . ولما نشبت نار الحرب بين سلوقوس كاليفيوس وانطيوخس هيراكس جعل ملك ارواد جزيرتهُ ملجأ للهاربين السياسيين فاتوا فيها في امن وسلام وكان كثيرون منهم من اصحاب المراتب العالية فلما فض النزاع وسوي الخلاف عاد هؤلاء الى اوطانهم وسعوا في مكافأة ارواد على جميلها فاسترجعت بذلك بعض مكانتها السابقة وزادت عزة وبسطة

ولكن الدهر لم يصفُ لها طويلاً فاتى الرومان سورية وفتحوها بقيادة بومبيوس وجعلوها ولاية رومانية واثقلوا عاتق اهلها بالجزية التي فرضوها عليهم فثاروا على الرومان واحرقوا

قائدين من قوادهم المشهورين فانتقم الرومان منهم وقتلوا كثيرين من وجوههم وكبرائهم

ولما ضاقت الجزيرة باهلها بنوا في البر قبالتها مدينة انترادوس (اي المقابلة لارادوس) وهي مدينة طرطوس الحالية . وقد خربت هذه المدينة مراراً ولكن قسطنطين الكبير اعاد بناءها سنة ٣٤٦ للمسيح واطلق عليها حينئذٍ اسم قسطنطينية وظلت تعرف بهذا الاسم الى القرون الوسطى لما ابدل باسم طورطوسا ثم حرفها العرب الى طرطوس

وذكرت جزيرة ارواد في جملة الاماكن التي امر لوقيوس القنصل الروماني بحماية اليهود فيها باشراف شمعون رئيس الكهنة كما ورد في الكتب المقدسة . ودخلت المسيحية هذه الجزيرة بواسطة بطرس الرسول لما زارها ثم صارت كرسي اسقفية وقد ذكر اسقفها في اعمال المجمع القسطنطيني . ولما عاد الخليفة معاوية ابن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية من غزوة قبرص في سنة ٦٣٧ اتى بسفنه الى جزيرة ارواد ودنا سكانها الى الطاعة فأبوا فشدد عليهم الحصار ولكنه لم ينل منهم منالاً فارفد اليهم اسقف حماة ليحملهم على المسالمة والصلح فيسوه عندهم وكان فصل الشتاء قد دنا واشتدت الارياح والامطار فاضطر معاوية الى رفع الحصار عنها ورجع الى دمشق . وعاد اليها بعد سنة وحاصرها فاستسلم اهلها بشرط ان تكون لهم الحرية في الذهاب اينما شاؤوا ودخلتها عساكر معاوية وحرقتها وهدمت اسوارها وعطلت بناءها

وذكر ابن الاثير ان فتح ارواد كان سنة ٥٤ قال وفيها فتح المسلمون جزيرة ارواد وتقدمهم جنادة بن ابي امية واقاموا بها سبع سنين . وذكر ياقوت ان فتحها كان في تلك السنة ايضاً ايام معاوية وكان من الذين فتحوها مجاهد بن جبر المقرىء وتُبيع ابن امرأة كعب الاحبار

وقد اخذت ارواد تتقهقر منذ ذلك الحين فانحطت مكانتها وبارت تجارتها وما زالت تتناوبها الدول حتى جاء الصليبيون فاستولوا عليها وظلت في يدهم الى سنة ١٣٠٢ لما برحوا البلاد بجملتها . وامتدت مملكة ارواد في زمانها من جبيل الى اللاذقية كما تقدم وكان اشهر مستعمراتها حينئذٍ بلطس وبلانيه وكارن وانهدرا ومراثوس وهي معروفة الآن باسماء بلده وبانياس والقرنون ورمفا (بين طرطوس وعمريت) وعمريت

وكانت جزيرة ارواد آخر ما بقي بيد الفرسان الهيكليين من الصليبيين في سورية

ش ٦ العين الصناعية مقتطف أكتوبر ١٩٠٥

العين الصناعية

ليس المراد بذلك انهُ صُنعت عينٌ توضع بدل عين الاعمى فيرى بها المرئيات . بل المراد انهُ استُنبطت آلة تتأثر بالمرئيات تأثراً كهربائياً يحدث صوتاً في التلفون يسمعهُ الاعمى فيعلم بالممارسة شكل المرئي الذي سبَّبهُ . والمرئي هنا هو حروف الكتابة المطبوعة فاذا وقع عليها النور حرفاً حرفاً اثَّر النور المنعكس عنها في آلة دقيقة فيها سلينيوم فولَّد فيها مجرًى كهربائياً يؤثر في تلفون سماعتهُ موضوعة على اذن الاعمى فيسمع بها اصواتاً تختلف باختلاف الحروف فيتعلم سريعاً تعليق كل صوت منها بالحرف الذي سببهُ فيصير يقرأ حروف الطبع العادية كالبصير

وهذا الاستنباط البديع مبني على ان عنصر السلينيوم يتأثر بالنور فيزيد ايصالهُ للكهربائية او ينقص حسب قوة النور كما ابنا مراراً في المتنطف

وقد استنبط الدكتور فورنيه دابل آلة منذ سنوات تمكِّن الاعمى من الشعور بالنور والظلمة وتمييز درجات النور هل هو شديد ساطع او ضعيف ضئيل وذلك بآلة فيها شيءٌ من عنصر السلينيوم

ثم استنبط آلة الابتوفون وهي تمكِّن الاعمى من قراءة حروف الطبع وقد وُصفت هذه الآلة في جمعية لندن الملكية منذ اكثر من سنة الا ان الحروف يجب ان تكون شفافة يخترقها النور حتى تؤثر في السلينيوم الذي فيها وان يكون ارتفاع كل حرف منها خمسة سنتمترات . والنور المار بها يجب ان يكون متقطعاً حسب ابراج السلَّم الموسيقي الثمانية و يصدر من نقط منيرة موضوعة في خط واحد طولهُ خمسة سنتمترات على الاقل في صفيحة مستديرة كصفيحة الفونوغراف او بعض الآلات الموسيقية التي فيها صفائح مخرقة

ثم اصلح الدكتور فورنيه هذه الآلة وقصَّر خط النقط المنيرة من خمسة سنتمترات الى سنتمتر ونصف اي جعل طولهُ كطول حروف الطباعة العادية وقوَّى التلفون المتصل بها فتألفت الآلة من صفيحة موسيقية صغيرة مستديرة تدور على محورها وهي المدلول عليها بالحرف S في الشكل الاول يقع عليها النور من مصباح ساطع النور N وجهاز بصري لالقاء صورة خط النقط المنيرة الناتجة من ادارة الصفيحة على حروف الكتاب التي يراد قراءتها . وهناك مدرَّج من السلينيوم معرَّض للنور الذي يعكس عن الحروف وتلفون متصل بهذا المدرَّج بعد

مرورهِ على آلة لتقوية المجرى الكهربائي . وفي الجهاز البصري موشور قائم الزاوية يعكس اشعة النور المتوازية الآتية من الصفيحة الموسيقية الى الاعلى فتمر في العدسة P وتجتمع وتنفذ من الثقب H . وتوضع على الثقب الورقة المطبوعة اي التي فيها حروف الكتابة ووجهها الى الاسفل ويوضع مدرَّج السلينيوم على مقربة من الحروف وهو مثقوب لتمر منهُ اشعة النور . وتدار الصفيحة الموسيقية بآلة كهربائية او بثقل مارٍ على بكرة فاذا ادیرت واجريت الورقة المطبوعة فوق الثقب سمع بالتلفون ت صوت قويٌّ حينما يمر الجزء الابيض الذي بين الحروف وينخفض الصوت حينما تمر الحروف اي ان الصوت المسموع يختفض ويعلو حسب كون ما مرَّ من الورقة مطبوعاً او غير مطبوع . ويختلف الصوت حسب شكل الحرف . ولا بدَّ من امرار الورقة المطبوعة امام بؤرة النور في جهة قراءة السطور وتحكيمها حتى تمرَّ في خط مستقيم غير متعرج اي حتى يقع النور على سطر الكتابة دائماً لا يحيد عنهُ وحتى يقع ثمانٍ على الاقل من نقط النور على الحرف ستٌّ منها على جسم الحرف القصير كحرف e وواحدة على ما يمتدُّ منهُ الى الاعلى كحرف d وواحدة على ما يمتد منهُ الى الاسفل كحرف P

ويقال ان الاعمى يستطيع ان يقرأ الكتب العادية بهذه الآلة بعد شيء من الممارسة وذلك بما يسمعهُ من الاصوات الدالة على شكل الحروف . وتأثيرها فيهِ كتأثير الاصوات الموسيقية حسب اختلاف ايراجها

اما الآلة الجديدة المسماة فونوفيكون Phonopticon فقد استنبطها الدكتور برون من اساتذة جامعة ايوى باميركا واستعمل فيها بلورات من السلينيوم فصارت الآلة بها بسيطة سهلة الاستعمال يستطيع كل اعمى ان يتعلم استعمالها بسهولة . وفي اليوم الاول والثاني من شهر يوليو الماضي عرض هذه الآلة امام مجمع العمال لاجل العميان في اميركا الذي التأم في سان فرنسسكو وامتحنها حينئذٍ ثلاثون اعمى فاستطاع كل واحد منهم ان يميز بعض الحروف بسهولة من اختلاف الاصوات التي سمعها لها وكان هناك المستر وبدير امين اعمال العميان في جامعة كليفورنيا وهو نفسهُ اعمى فتعلَّم تمييز الحروف بها خلالاً . وسمع اصوات ثلاث كلمات قصيرة فتعلم تمييزها عن غيرها بعد ما سمعها مرتين . ثم سمع صوت حرف لم يكن قد سمعهُ قبلاً فعرف ما هو من المقابلة بين صوته واصوات الحروف المشابهة لهُ . ويقال الآن ان الاعمى المتوسط الذكاء يستطيع ان يتعلَّم قراءة المطبوعات بهذه الآلة في شهرين من الزمان على الاكثر

وصف الفونوبتيكون

ترى في الشكل الثاني رسوماً توضح اجزاء هذه الالة وكيفية عملها. لنفرض ان صفحة فيها الحرف A وضعت امام العدسية 5 وان الصفحة التي فيها الحرف A وسائر الحروف المطبوعة بقيت في محلها ولكن العدسية 5 وبلورات السليفيوم 1 كانت تتحرك امام الحروف حسب امتداد السطر الذي يراد قراءته . وهناك خط من النور (6b) يقع على السطر ويمر على الحروف حرفاً حرفاً تابعاً حركة العدسية تتقع صورته على العدسية وهو مار على الحرف وتنفذها الى بلورات السليفيوم معكوسة واول ما يصل اليها به صورة اسفل الحرف A من الجهة اليسرى ثم صورة وسطه ثم صورة اعلاه وهكذا الى طرفه الاسفل الايمن . والنور الذي يصل الى بلورات السليفيوم يؤثر في المجرى الكهربائي المتصل بها وينتقل تأثيره الى التليفونات الثلاثة المدلول على كل منها بالعدد 21 وعلى واحد منها مكبراً الى جانبها

وترى في الشكل ٣ هذه الآلة في حالتها الحاضرة وثقل كل اجزائها ٣٥ ليبرة والجزء منها الذي يقرأ به هو الصندوق القائم على كتاب المدلول عليه بالحرف ص وثقله ليبرتان لاغير ويمكن تصغيره وتخفيفه حتى يصير ثقله جزءاً من ليبرة . وفي هذا الصندوق بلورات السليفيوم وهي تتأثر بالنور كما تتأثر العين الطبيعية ويتصل به المصباح الذي يقع منه النور على صفحة الكتاب وفيه العدسيات اللازمة لنقل صور الحروف الى بلورات السليفيوم . فاذا وضع هذا الصندوق فوق الكتاب وقعت العدسيات التي فيه مائلة على صفحة الكتاب بعضها الى اليمين وبعضها الى اليسار كما ترى في الشكل ٤ وترى هناك مصباحاً خارج الصندوق والعدسية التي تحته تجمع اشعة تورد على حروف الكتاب ثم تنعكس هذه الاشعة الى العدسيتين المقابلتين ومنها الى بلورات السليفيوم . وترى في الشكل الخامس هذا الصندوق موضوعاً على كتاب ورجلاً بصيراً يمر به بيده على سطور الكتاب ورجلاً اعمى واضعاً سماعة التلفون على اذنه يسمع الاصوات الصادرة من الحروف فيميز كل حرف منها بصوته ويقرأها كما لو رآها البصير بعينيه

والفرق بين آلة الدكتور فورنيه وآلة الدكتور برون كبير جداً فان الدكتور برون استعمل بلورات كبيرة من السليفيوم بدل البلورات الصغيرة جداً التي كان الدكتور فورنيه يستعملها وتأثر البلورات الكبيرة بالنور يزيد على تأثر الصغيرة مئة ضعف . ولم يستعمل الدكتور برون في الآلة التي عرضها في سان فرنسسكو سوى بلورتين من بلورات السليفيوم

واحدة للجزء الاعلى من الحروف وواحدة للجزء الاسفل مع ان آلة فورنيه فيها ثمانية ثقوب . والصوت في آلة فورنيه موسيقي يتأثر باختلاف نغمته الموسيقية اما آلة برون فتخرج منها اصوات تختلف باختلاف الحروف وتميزها الاذن بسهولة ولا تحتاج الى آلة لتقوية المجرى الكهربائي كآلة فورنيه . والكتاب في آلة فورنيه يوضع فوق الآلة ويجب امراره فوق الثقب الذي يمرُّ منهُ النور ولا تخفى صعوبة ذلك في الكتب الكبيرة الثقيلة واما آلة برون فتوضع على صفحة الكتاب ويمكن تحكيمها حتى تناسب حروفهُ سواء كانت كبيرة او صغيرة وهذا ما لا يمكن في آلة فورنيه . والشيء الجوهري في الفرق بين الآلتين هو استعمال الدكتور برون لبلورات السلينيوم الكبيرة

والدكتور برون هو الذي استحضر هذه البلورات فان بطريات السلينيوم التي كان الباحثون يستعملونها كان السلينيوم فيها ذرات صغيرة توضع على سلك ملفوف حول صفيحة من حجر الصابون او نحوهِ وكان المجرى الكهربائي يمرُّ بهذا السلك وبذرات السلينيوم فينتقل بها من لفة الى اخرى من لفات السلك وتختلف مقاومة السلينيوم للمجرى الكهربائي باختلاف قوة النور وضعفهِ فيختلف المجرى الكهربائي كذلك . فخطر للدكتور برون وساعدهُ انهُ اذا أمكن استخلاص بلورات كبيرة من السلينيوم حتى يسهل استعمالها وحدها نُفيت كل العيوب التي في بطريات ذرات السلينيوم فوجهوا همتهم الى ذلك وفازوا بالنجاح بعد ما اشتغلوا اربع سنوات وذلك بان وضعوا ذرات السلينيوم في انبوب زجاجي وافرغوا منهُ الهواء وسدوهُ سدًّا هرمسيًّا ووضعوهُ في فرن كهربائي وابقوهُ فيهِ على حرارة واحدة ثلاثة اشهر فتولدت فيهِ البلورات الكبيرة . وترى صور هذه البلورات في الشكل السادس . وقد استخدم علماء الطبيعيات هذه البلورات الآن في مباحث كثيرة متعلقة بالنور والكهربائية عدا استعمالها في العين الصناعية

والسلينيوم عنصر يشبه الكبريت اكتشفهُ برز يلوس سنة ١٨١٧ وسماهُ بهذا الاسم اي القمر لانهُ رآهُ مشابهًا في خواصهِ لعنصر التلوريوم الذي معنى اسمهِ الارض . وهو قليل الوجود ولا نعلم لهُ فائدة غير هذه الفائدة وهي تأثرهُ بالنور والظاهر ان تأثر بلورات السلينيوم بالنور يختلف باختلاف الضغط عليها كما يختلف باختلاف النور في قوتهِ وضعفهِ والنور يمر في البلورات على طولها ويمر فعلهُ بها كذلك على طولها

والمظنون انهُ اذا امكن استحضار بلورات من السلينيوم اكبر من البلورات التي استحضرت حتى الآن يكون تأثرها بالنور اشد ويحتمل ان تستعمل في التصوير والفوتوغرافيا

ما نأكل بدل اللحم

كتب الاستاذ جمس لونج في جريدة الديلي ميل الانكليزية مقالة في هذا الموضوع قال فيها : ان اللحم اغلى الاطعمة في الحالات العادية اذا قيس بمقياس قيمته الغذائية . اما الآن وقد بتنا في حال استثنائية بسبب الحرب فقد زاد غلاؤه على غلاء . وهذا لا يهمّ الذين يحسبونهُ احد لوازم المعيشة ويأكلونهُ ثلاثاً في يومهم . ولكنني آتٍ هنا ببعض حقائق قد تقنع المتعنتين بان اللحم فضلة يستغنى عنها وفائلة زائدة على الحاجة

وجدتُ في بحثي ان جمهور الآكلين يلبّون داعي الذوق فيهم وهم يطلبون طعامهم لا داعي العلم والحقائق التي كشفها العلم . واذا قلت اللحم فانما اعني اللحم الاحمر (الهبر) لان الدهن ليس اغلى عندنا من الشحم . فاللحم معظمهُ ماء . أخذت فخذ خروف ثقلها ٨ ارطال وطبختها في فرن فلما جيء بها الى المائدة كان وزنها ٥ ارطال و٨ اواقٍ اي انها نقصت رطلين و٤ اواقٍ وكنت قد اشتريت الرطل بشلن فاصبح ثمن الرطل منها بعد ما اعتراها من النقص نحو شلن ونصف . على ان في الفخذ عظماً ونهاية اخرى لا تؤكل فاذا طرحت من الجزء الذي يصلح للاكل بقي منهُ ٤ ارطال و٤ اواقٍ فاصبح بذلك ثمن رطل اللحم الصالح للاكل نحو شلنين . وخمس هذا الجزء الى ربعه دهن . ولما كان اللحم يحتوي على ٣٠ في المئة من المادة المغذية فانهُ شرٌّ بديل من الاطعمة المغذية التي يمكن ان تحل محلهُ والتي سأذكرها فيما يلي . والخلاصة ان الجزء المغذّي من فخذ الضان ثمن الرطل منهُ نحو ستة شلنات ونصف

ومثل ذلك يقال في الكتلاتا وقد اشتريت منها ما زنتهُ رطل وثلث بشلن ونصف ثم طبخ فاصبح ثقلهُ $\frac{3}{4}$ الرطل اي انهُ فقد الثلث . ووزن اللحم مجرداً من العظم فكان نصف المقدار الاول . وبعبارة اخرى ان ثمن الرطل من اللحم المطبوخ المجرد من العظم $\frac{3}{4}$ ٢ الشلن . ثم ان آكل الكتلاتا كثيراً ما يختار منها اللحم الاحمر الطريّ وينبذ الاطراف اليابسة والاجزاء التي خالطها الدهن فيبلغ ثمن الرطل مما يأكلهُ منها ٤ شلنات وثلثاً . واذا كان في اللحم ٣٠ في المئة من المادة المغذية كان ثمن الرطل من المادة المغذية في اللحم ١٤ شلناً

والسمك طعام حيواني كاللحم . وما تقدم من الكلام على اللحم يصدق عليهِ . فان سمكة ثقلها رطل اشتريت بشلن . وبعد تنظيفها وطبخها ونزع الشوك منها اصبحت نصف

ما كانت عليهِ عند شرائها اي نصف رطل فيكون ثمن الرطل شلنين . وثمن الرطل من المادة المغذية في السمك نحو ٨ شلنات

فاذا سألني سائل ترى اي الاطعمة يمكن ان تحلّ محلّ اللحم والسمك ويكون ثمنها اقل منها . فاجيبهُ باننا نستطيع الحصول على جميع المواد المغذية اللازمة لنا في القطاني والخضر والاثمار . والمواد المذكورة فيما يلي غنية بالبروتايين وهو اهم عناصر اللحم ولكنهُ اقل ثمناً ونفقة فيها منهُ في اللحم . واذا ارتاب احد في احتواء القطاني كالفول والعدس على المادة المغذية في اللحم اقول لهُ اولاً ان ما يؤكل من الطعام في المرة الواحدة يكفي لتغذية الآكل مهما يكن نوع الطعام . وثانياً ان في الرطل من الفاصوليا الناشفة او البازلاّ او العدس او الجبن من المادة المغذية ضعفي ما في رطل من لحم البقر الجيد

وهاك جدولاً للمقابلة بين ثمن الرطل من المادة المغذية في اللحم والسمك والبقول واللبن محسوباً بالقروش المصرية

لحم ضاني	٣٢	بطاطس	٠٢ ½
كستلاتا ضاني	٣٩	خرشوف	٠٢ ½
اللحم الذي يؤكل في الكستلاتا	٦٨	قنبيط	٠٧
فاصوليا ناشفة	٠١ ½	معكرونه	٠٣ ½
بازلا ناشفة	٠١ ½	بن	٠٥
عدس	٠١ ½	خبز	٠١ ½
جبن	٠٨	عجه	١٠
بازلا خضراء	٢٢		

فهذه المواد تتألف منها الوان الطعام لا تحصى ونفقة ما يكفي عائلة منها اقلّ من نفقة ما يكفي الفرد من اللحم

وليست كمية الطعام الذي تأكلهُ هي التي فيها قوامنا بل موافقة الطعام لنا من حيث نوعهُ ومزاج الآكل والفصل الذي يؤكل فيهِ . وفصل الصيف هو الفصل الذي يجب فيهِ نبذ الاطعمة الحيوانية واحلال النباتية محلها . فان في ذلك توفيراً على الصحة والكيس معاً

مضادات الفساد

اشرنا في العدد الماضي الى الاكتشاف الطبي الذي اكتشفهُ العالمان الفرنسويان الدكتور الكس كارل والدكتور بودن لمضادة الفساد في الجروح . وقد اطلعنا في المجلة الطبية البريطانية على وصف آخر لاكتشاف مشابه تماماً في الجزئيات والكليات اكتشفهُ عالم انكليزي قبلما أعلن العالمان الفرنسويان اكتشافهما في اكاديمية العلوم بباريس وهذا ما قالتهُ المجلة المذكورة :

« ان الاكتشاف الجديد ليس الاَّ الحامض الهيبوكلورس . فانهُ عرف منذ سنوات عديدة ان انواع الهيبوكلوريت التي يستخدم مسحوقها كثيراً في مصر الاقمشة وغيرها من اشد قاتلات جراثيم الفساد وبالتالي من افضل المطهرات . وقد كانت تستعمل في تطهير الاعمال الصحية العمومية منذ زمن طويل وهي تستعمل الآن في ميادين الحرب لتطهير المياه التي يسقي الجنود منها

وحاول الجراحون بعد ما عرفوا هذه الخاصة في الهيبوكلوريت ان ينتفعوا بها في تطهير الجروح ومقاومة الفساد الذي يطرأ عليها فلم يفلحوا لعدم توفقهم الى حفظهِ بحالة ملائمة من السيولة ولان استعمالهُ وهو قوي يهيج الانسجة ويحدث المًا شديداً فيها ولكن لما شبت الحرب الحاضرة وكثر الجرحى المصابون بالجروح البالغة القذرة التي لم يسبق لها مثيل في الحروب الماضية حول الاطباء والعلماء افكارهم وصرفوا همهم الى اكتشاف مضاد للفساد يفي بالغرض اكثر من المضادات المعروفة . وفي جملة العلماء الذين اعتنوا بهذا الامر الاستاذ لورين سمث رئيس القسم الباثولوجي في جامعة ادنبرا فان لجنة المباحث العلمية الانكليزية كلفتهُ ان يسعى مع الدكاترة درنان ورقي وكل الى اكتشاف مضاد جديد مفيد فبدأ بحثهُ بالهيبوكلوريت وبعد تجارب عديدة عثر على طريقة يمكنهُ بها استعمال الحامض الصرف مضاداً للفساد . ومن غرائب الاتفاق انهُ وجد بالاختبار ما وجدهُ الدكتور كارل وزميلهُ الدكتور بودن وهو ان خير الطرق لتوليد الغاز (غاز الكلور) يكون بفعل حامض البوريك في مسحوق القصر (مسحوق الهيبوكلوريت) ممزوجاً بالماء

وقد اطلق الاستاذ لورين سمث اسم « يوباد » على المسحوق المؤلف من كميتين متساويتين من مسحوق القصر الناعم ومسحوق حامض البوريك بعد مزجهما جيداً في هاون

واطلق اسم « بوزول » على الحامض الهيبوكلوروس الصرف المحضر بالطريقة السابقة مع اضافة الماء الى المسحوقين المذكورين

وظهر بالتجربة والامتحان ان فعل الحامض الهيبوكلوروس يكون على اتمه في الحالة الغازية لانهُ يتخلل الانسجة في هذه الحالة اكثر مما يتخللها لو كان محلولاً وهو اذا انحل في الانسجة بعد ذلك انحل الى حامض هيدروكلوريك ضعيف او كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ولذلك لا يخشى منهُ من التسمم اذا امتصتهُ اجهزة الجسم

وقد امتحن فعل هذا الحامض في عمليات جراحية عديدة عملت في مستشفيات ادنبرا محلولاً ومسحوقاً فاسفر عن نتيجة حسنة جداً . وفي جملة الحوادث التي امتحن فيها الحادثة التالية وهي

جيء بجندي كسرت فخذهُ كسوراً عديدة سيئة واصيبت بجراح بالغة وادخل المستشفى بعد اصابته بها بنحو شهر وكانت آلام جراحهِ شديدة مبرحة والمادة الكريهة تفرز من قحتين منها بكثرة وحرارتهُ عالية فعولجت الجراح اولاً بمضادات الفساد العادية بضعة اسابيع فكان التقدم بطيئاً جداً ثم عولجت « باليوزول » فزالت رائحة الفساد بعد ثلاثة ايام وخف التز والالم منها وهبطت الحرارة تدريجاً واعتدلت بعد عشرة ايام وتحسنت حالة الجريح بهذا العلاج تحسناً كبيراً مطرداً

وقد استنتج الاستاذ سمث ومعاونوهُ من التجارب العديدة التي جربوها ان الحامض الهيبوكلوروس اقوى مضادات الفساد المعروفة وانهُ مع شدة فعلهِ بالجراثيم والخمائر واتلافها لا يؤذي الانسجة في المكان الذي يستعمل فيهِ خاصة ولا بواسطة الامتصاص عامة وانهُ اذا كان ثم ضرر منهُ فهو قليل لا يعتد بهِ ولا يقاس بالضرر الذي تحدثهُ مضادات الفساد المعروفة

ومن مزايا هذا الحامض سهولة استعمالهِ في ساحات الحرب اذ يمكن استعمالهُ فيها مسحوقاً فيخفف عن الجنود مشقة البحث عن الماء اللازم لمضادات الفساد الاخرى . والطريقة المثلى في استعمالهِ كذلك هي ان يرش المسحوق على الضمادة الاولى التي يضمد بها الجرح في مستشفى الميدان اما اذا تيسر الماء فيمكن حل هذا المسحوق فيهِ ويكمد الجرح بالمحلول تكميداً

ومن خواص الحامض الهيبوكلوروس الغريبة انهُ يجذب العصير اللمفاوي فيسيل مخترقاً الجزء المعتل ويطرد في سيلهِ المواد السامة او المفسدة من الداخل الى الخارج فتفعلهُ من هذا القبيل مثل فعل محلول قوي من الملح في معالجة الجروح . وقد اثبت معالجة الجروح البالغة بمحلول الملح (وهي طريقة جديدة) بفوائد جمة ولكن محلول الملح لا يقتل جراثيم الفساد مثل الحامض الهيبوكلوروس انتهى »

بعد كتابة ما تقدم اطلعنا في عدد اخير من اعداد مجلة «نانشر» الانكليزية على الفقرة التالية :

«ان الحرب الحاضرة اثارت البحث في العلاجات الواقية والشافية فلا يكاد يوم يمضي حتى تنشر الصحف اليومية انباء تختلفة باكتشاف ادوية جديدة وطرق للمعالجة لم تكن معروفة قبلاً . من ذلك ما نشر عن اكتشاف مصل غريب الفعل عجيب التأثير في معالجة الجروح التي طرأ عليها الفساد اكتشفهُ الاستاذان لكلنش وقاليه من كلية الفنور البيطرية . ومن ذلك ما اشيع من ان الدكتور بل من ملبورن باستراليا استخلص من اليوكالبتوس دواء شافياً للحمى الدماغية الفقارية . وكذلك ما اشاعوا عن اكتشاف مزيج مضاد للفساد لعلاج الجروح زعموا انهُ جديد . وهو مؤلف من كلورير بد الجير (مسحوق القصر) والحامض البوريك والطباشير . ولكن هذا المزيج كان معروفاً من قبل كما قالت مجلة اللانست » (وهي اشهر المجلات الطبية الانكليزية)

باب الزراعة

الحرب والزراعة

سيكون لهذه الحرب اثر سيء في الزراعة باوربا لقلة العاملين في خدمة الارض فقد اطلعنا في مجلة المعرفة الانكليزية على صورتين لحقلين متشابهين من الحنطة احدهما تمكن صاحبهُ من تنقية الحشائش منهُ فترى زرعهُ نامياً جداً والثاني لم يتمكن صاحبهُ من تنقية العشب منهُ لقلة الايدي العاملة عندهُ فنبت العشب بين الزرع وهو من نوع الخردل البري حتى لا يكاد الزرع يبين بينهُ . ويقال ان ثمن ما يمكن ان يحصد من هذا الحقل لا يقوم بنفقة حصدهِ . واضرُّ من ذلك ان هذا العشب ازهر وستكثر بزورهُ وتملأ تلك الارض وما يجاورها . والمرجح ان هذا شأن اراضٍ كثيرة في اوربا لان الملايين الذين سيقوا الى هذه الحرب اكثرهم من الفلاحين

ومعلوم ان الفلاح الواحد يستطيع ان يزرع ويخدم عشرة افدنة مزروعة حنطة وان متوسط غلة الفدان في اوربا نحو اربعة ارادب فاذا فرضنا ان عدد الرجال الفلاحين الذين سيقوا الى الحرب في روسيا والمانيا والنمسا وفرنسا وايطاليا والكلترا ثمانية ملايين فثلاث مئة

مليون اردب من الحنطة او ما يقوم مقامها لا تجد لها ايادي عاملة لزرعها وخدمتها واستغلالها وهي اكثر من نصف ما يأكلهُ سكان اوربا من الحنطة

محصول القمح
في الولايات المتحدة وكندا

يؤخذ من التقارير التي وردت على انكلترا من الولايات المتحدة ان حصد محصول القمح الشتوي قد تأخر فيها عن المعتاد بسبب سوء الاحوال الجوية في اكبر المقاطعات التي زرع فيها القمح الشتوي . ويقال ايضاً ان المحصول اصيب بضرر كبير للسبب عينهِ ولا بد لذلك من تعديل التقدير الذي قدر بهِ محصول القمح اخيراً قبل انتهاء الحصاد

على ان جميع الدلائل تدل الآن على ان محصول القمح الربيعي سيكون اكبر محصول عرف في تاريخ الولايات المتحدة حتى الآن بشرط ان تظل الاحوال الجوية ملائمة لهُ

وقد شرع في الحصاد في كندا والمحصول فيها هذا العام اكبر من محصول العام الماضي كثيراً ولكنهُ متأخر عن المعتاد مثل المحصول في الولايات المتحدة

وتجار القمح في بريطانيا العظمى يبذلون المساعي الآن للتعجيل في شحن ما تيسر من المحصول الجديد في الولايات المتحدة وكندا الى انكلترا لان الوارد عليها من القمح قلَّ عن المعتاد في هذه الايام نحو النصف

وقد قالت مجلة تاتشر الانكليزية في عدد اخير ان الحشرة المسماة « هسيان فلاي » فتكت في الفصل الماضي فتكاً ذريعاً بموسم القمح الاميركي واتلفت ملايين من الاراديب . فاذا لم تتدارك الحكومة الاميركية هذه المسئلة حالاً خيف ان يتفاقم الخطب في الموسم الآتي . وقد اصدرت مصلحة الزراعة الاميركية منشوراً وزعتهُ على الفلاحين الذين نكبت زراعتهم في طول البلاد وعرضها وحضتهم فيهِ على اتباع النصائح التي زودتهم بها سنة ١٩١٤ ولكنهم تجاهلوها رغم الانذارات المتكررة فكان من فتك تلك الحشرة بزروعهم ما كان . ومما قالتهُ في منشورها ان هذه الآفة يمكن ابادتها واستئصال شأفتها بتأجيل زرع الخريف الى ما بعد ما خروج الذباب من شرانقهِ اللاصقة بسوق الموسم الصيفي فان هذا الذباب يموت حالما يدرك سنّ البلوغ من غير ان يخلف نسلاً اذ لا يجد مكاناً يلقي فيهِ البيض . واوصتهم كذلك بحرق سوق القمح الباقية في التربة بعد الحصد حيث يمكن ذلك . وحيث لا يمكن ذلك بنبغي تعميق الحرث وتزحيف الارض

محصول القطن المصري

نشرت شركة المحاصيل العمومية في الاسكندرية بيانها السنوي عن محصول القطن والبزرة في عام اولهُ ١ سبتمبر ١٩١٤ وآخرهُ ٣١ اغسطس ١٩١٥ وهذا ما جاء فيه

القطن

الواصل الى الاسكندرية		٦ ٣٧٣ ٢٦٣ قنطاراً
يضاف اليهِ ليصحح الحساب		٢٧٣ ١١٦ ٩٥٨ »
		٦ ٤٩٠ ٢٢١ »
الصادر الى انكلترا	٣٧٩ ٤٥١ بالة	
» اسبانيا	٢٣ ٢٠٤ »	
» الولايات المتحدة	١٧٤ ٣٨٢ »	
» فرنسا	٢٧ ١٠٧ »	
» الهند	٤٧٥ ٠٠٠ »	
» اليابان	١٨ ١٦٩ »	
» ايطاليا	١٦٧ ٧٠١ »	
» البرتغال	٧٥٦ ٠٠٠ »	
» روسيا	٧٥٢٨ ٠٠٠ »	
» اسوج ونروج	٣١ ٤٤٢ »	
» اليونان وتركيا	٢ ٥١٦ ٠٠٠ »	
	٨٣٢ ٧٣١ »	
	فيها ٦٣١٨٩٩٠ قنطاراً	
المخزون في الاسكندرية في اول سبتمبر ١٩١٤		٧٦٦ ٣٠٠ »
الواصل كما هو مبين اعلاه		٦ ٤٩٠ ٢٢١ »
		٧ ٢٥٦ ٥٢١ »
الصادر كما هو مبين اعلاه		٦ ٣١٨ ٩٩٠ قنطاراً
الذي اخذ للغزل		٤٦ ٨٩٠ »
ما دمرتهُ النار		٣١١ ٠٠٠ »
		٦ ٣٦٦ ١٩١ »
الباقي في الاسكندرية في ٣١ اغسطس ١٩١٥		٨٩٠ ٣٣٠ »

البزرة

	اردب	
الواصل الى الاسكندرية	٣ ٧٥١ ٧٠١	
يضاف اليهِ لتصحيح الحساب لآخر السنة	٠٢٣ ٩٦١	
	٣ ٧٧٥ ٦٦٢	

الصادر من الاسكندرية

	اردب	
الى انكلترا	هل	١ ٦٣٤ ٨٧٤
	لندن	٠ ٤٥٥ ٩٧٠
	موانىء اخرى	١ ١٧٥ ٦٩٣
الى فرنسا	مرسيليا وسواها	٠٠٠ ٨٨٢
	المجموع	٣ ٢٧٥ ٣٥٩
المخزون في الاسكندرية في ١ سبتمبر ١٩١٤		٠ ١١٣ ٢٩٧
الواصل كما هو مبين اعلاه		٣ ٧٧٥ ٦٦٢
		٣ ٨٨٨ ٩٥٩

	اردب	
الصادر كما هو مبين اعلاه	٣ ٢٧٥ ٣٥٩	
المستقطع في بر مصر	٠ ٦٠٠ ٠٠٠	
المجموع		٣ ٨٧٥ ٣٥٩
الباقي في الاسكندرية في ٣١ اغسطس ١٩١٥		٠ ٠١٣ ٦٠٠

وعلاوة على ما استقطع في الاسكندرية عصر نحو ٤١٥ ٠٠٠ اردب في كفر الزيات والزقازيق

هذا وقد قررت الحكومة المصرية الآن ان لا تقيد زراعة القطن بشك الاطيان في السنة القادمة . ومن المرجح حينئذٍ ان يعود زمام الاطيان التي تزرع قطناً الى ما كان عليهِ اي نحو ١ ٧٠٠ ٠٠٠ فدان او اكثر فتزيد الحاجة الى البزرة لاجل التقاوي

محصول القطن ومقطوعيته

نقل البصير عن جريدة الكرونكل جدول مقطوعية القطن في الدنيا في الاعوام الخمسة الماضية وجدول المحاصيل التجارية فيها اي ما وصل من القطن الى اسواق التجارة فيها والجدول الاول محسوب بالبالات الاميركية والبالة خمسة قناطير وهو

	٩١٤—٩١٥	٩١٣—٩١٤	٩١٢—٩١٣	٩١١—٩١٢	٩١٠—٩١١
اميركا	٥٨٠٥٠٠٠	٥٦٨٠٠٠٠	٥٥٣١٠٠٠	٥٢١٠٠٠٠	٤٤٨٥٠٠٠
انكلترا	٣٠٠٠٠٠٠	٤٣٠٠٠٠٠	٤٤٠٠٠٠٠	٤١٦٠٠٠٠	٣٧٧٦٠٠٠
اوربا	٣٠٢٥٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	٥٧٢٠٠٠٠	٥٤٦٠٠٠٠
الهند	١٦٠٧٠٠٠	١٦٨٠٠٠٠	١٦١٣٠٠٠	١٩٠٧٠٠٠	١٤٩٤٠٠٠
اليابان	١٤٠٠٠٠٠	١٥٢٢٠٠٠	١٣٥٢٠٠٠	١٣٣٧٠٠٠	١٠٨٧٠٠٠
بلاد مختلفة	٠٨٥٤٠٠٠	٠٦٨٤٠٠٠	٠٥٩٨٠٠٠	٠٥١٢٠٠٠	٠٤٤٨٠٠٠
المجموع	١٥٩١٧٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠	١٩٥٤٤٠٠٠	١٨٥٦٦٠٠٠	١٦٧٥٠٠٠٠

والجدول الثاني محسوب بالبالات الاميركية ايضاً وهو

	٩١٤—٩١٥	٩١٣—٩١٤	٩١٢—٩١٣	٩١١—٩١٢	٩١٠—٩١١
الولايات المتحدة	١٤٧٦٦٤٦٧	١٤٤٩٤٧٦٢	١٣٩٤٣٢٢٠	١٥٦٨٣٩٤٥	١١٨٠٤٧٤٩
الهند	٠٣٣٣٧٠٠٠	٠٤٥٩٢١٤٩	٠٣٤٦٨٤٠٧	٠٣١٧٦٦٦٠	٠٢٢٣٥٧٤٨
مصر	٠١٢٠٠٠٠٠	٠١٤٣٩٨٠٢	٠١٤١٦٣٥٢	٠١٣٩٦٤٧٤	٠١٤١٥٧١١
برازيل وغيرها	٠٠٢٤٠٠٠٠	٠٠٣٨٧٩٤٧	٠٠٣٧٠٠٠٠	٠٠٣٤١٨٣٠	٠٠٤٠٦٥٢٩
المجموع	١٩٥٤٣٤٦٧	٢٠٩١٤٦٦٠	١٩١٩٧٩٧٩	٢٠٥٢٩٩١٥	١٦٨٦٢٧٣٧
المقطوعية	١٥٩١٦٩٩١	١٩٩٥٨١٧٦	١٩٥٤٤٠٠٧	١٨٤٦٩٥٣٢	١٧٧٥٠٤٨٤
الفضلة	٠٣٦٢٦٤٧٦	٠١٠٥٦٤٨٤	٠٠٣٤٦٠٢٨	٠١٩٦٤١٨٣	٠٠١١٢٢٥٣

وعليه فالفضلة التي زادت على المقطوعية من الموسم الاخير تزيد على ثلاثة ملايين ونصف من البالات ولا تقاربها الا الفضلة التي بقيت سنة ١٩١٢ ولكنها كانت اقل من مليوني بالة.

ولا شبهة ان الفضلة هذا العام اكثر من ثلاثة ملايين بالة ونصف مليون لان الموسم الاميركي كان ١٦ مليوناً وثلاثة ارباع المليون ولم يدخل منهُ الاسواق سوى ١٤ مليوناً وثلاثة ارباع المليون فبقي منهُ مليونا بالة يجب ان تضاف الى الفضلة الباقية

لكن الموسم الاميركي الحالي يقدر بنحو احد عشر مليوناً وثلاثة ارباع المليون من البالات فهو وحدهُ انقص من الموسم الاميركي الماضي بخمسة ملايين بالة . وموسم مصر الحالي انقص من موسمها الماضي بنحو نصف مليون بالة اميركية فاذا بقيت مقطوعية المعامل هذا العام كما كانت في العام الماضي استنفدت المحصول كلهُ واكثر ما بقي من المحصول الماضي . واذا وضعت الحرب اوزارها قبل آخر هذه السنة زادت المقطوعية على المحصول . ويقال ان المانيا تشتري الآن قطناً في اميركا وتبقيهِ فيها الى ان تستوردهُ بعد انتهاء الحرب مخافة ان يغلو ثمنهُ حينئذٍ او مخافة ان لا تجد قطناً تشتريهِ لمعاملها حينئذٍ

وقد كان لقلة موسم اميركا الحالي اكبر شأن في ارتفاع الاسعار الآن ومن المرجح ان الاميركيين يجرون على تقليل المساحة المزروعة في العام المقبل ليزيد ارتفاع الاسعار فيربحوا منها اكثر مما يربحون من زيادة المحصول

اما القطن المصري فليس من الحكمة تقليل زراعتهِ لان سعرهُ قلما يتوقف على مقداره بل هو تابع بالاكثر لسعر القطن الاميركي ولو بلغ الموسم المصري الحالي ستة ملايين قنطار لكان سعرهُ كما هو الآن او اقل قليلاً جداً . اما حل مزيج اصل الزراعة من زرع القطن اذا بقيت اسعارهُ على هذه الدرجة مع ما يتفق عليهِ من النفقات الطائلة فتلك مسألة اخرى يختلف الجواب عليها باختلاف الاطيان وثمنها ونفقات الري فيها وما يمكن ان تغلهُ من غير القطن

وعلمنا بعد كتابة ما تقدم ان الحكومة الفت امرها السابق بحصر زراعة القطن في ثلث الاطيان فاحسنت صنعاً وعسى ان يعلم المزارعون كلهم ان كبر المحصول يتوقف بالاكثر على الخدمة وانقاء الآفات الطبيعية

وقد ارتفع سعر القطن عند كتابة هذه السطور في ١٦ سبتمبر فبلغ سعر الكنتراتات لنوفمبر $\frac{١٩}{٣٢}$ ١٧ الريال ولمارس $\frac{٩}{٣٢}$ ١٨ وبلغ ثمن القنطار من البضاعة الحاضرة في الاسكندرية ١٥ ريالاً للاشموني و٢١ ريالاً للسكلاريدس و١٨ ريالاً للنوباري وثمن اردب البزرة ٩٢ غرشاً للصعيدي والفيومي و ٩٠ غرشاً للسكلاريدس وهي اسعار حسنة والظاهر انها ستزيد ارتفاعاً ولكن الموسم الجديد قد لا يزيد على اربعة ملايين قنطار الى اربعة ملايين

ونصف فاذا كان متوسط ثمن القنطار اربعة جنيهات وبلغ الموسم اربعة ملايين ونصف فثمنهُ كلهِ ١٨ مليوناً من الجنيهات ولولا تنقيص المساحة لبلغ ثمنهُ ٢٧ مليوناً لانهُ لم يزرع الاَّ ثلثا المساحة التي تزرع عادةً فخسرت البلاد تسعة ملايين من الجنيهات بارشاد الذين ارشدوها لتقليل المساحة . ولقد كانت الحكومة معذورة في العمل بارشادهم في اواخر العام الماضي اذ هبط ثمن القطن هبوطاً فاحشاً بسبب الحرب وعسى ان تتعلم من هذه الخسارة ان لا تطاوع احداً في تقليل زراعة القطن لان سعرهُ يتوقف بالاكثر على سعر القطن الاميركي كما تقدم واذا لم يكن لنا بد في تقليل الموسم الاميركي لرفع سعرهِ فمن العبث ان نقلل موسمنا ايضاً ثم اذا قلَّ الموسم المصري ارتفع سعرهُ ولو كان الموسم الاميركي كبيراً رخيصاً ولكن ارتفاع السعر لا يكون مناسباً لقلة الموسم ففي هذه السنة يبلغ ثمن موسم القطن المصري نحو ١٨ مليوناً من الجنيهات وثمن محصولات الاطيان التي ابطلت زراعتهُ منها نحو ٣ ملايين من الجنيهات والجملة ٢١ مليوناً فلو زرعت الارض كلها قطناً لبلغ المحصول ٦ ملايين من القناطير ولو بلغ هذا الحد لما هبط سعر القنطار اكثر من ريالين ولبلغ ثمنهُ اكثر من ثلاثة وعشرين مليوناً من الجنيهات

صادرات الارز ووارداتهُ

بلغت قيمة الصادر من الارز والوارد منهُ منذ عشر سنوات الى الآن ما ترى في هذا الجدول

السنة	قيمة الصادر	قيمة الوارد
١٩٠٥	١٤٣٥٣٣ جنيهاً	٣١٥٣٨٦ جنيهاً
١٩٠٦	١٣١٠٣٨ »	٣٧٣١٠٧ »
١٩٠٧	١٣٥٤٣٠ »	٣٨٥٠٦٩ »
١٩٠٨	١٤٠٦١٦ »	٤٠٦٣٧٠ »
١٩٠٩	١٦٧٣١٢ »	٤٤٦٦٩٧ »
١٩١٠	٢٨٨٢٩٨ »	٣٢٥٨١٣ »
١٩١١	٢٨٧٦٣٧ »	٣٣٣٢٩٤ »
١٩١٢	٢٨٤٢٧١ »	٣٦٥٠٣١ »
١٩١٣	٢٧٨٩٢٠ »	٥٠٣٥٠٥ »
١٩١٤	١٦٠٥٩٢ »	٤٢٣٣٧٥ »

وواضح من ذلك ان ثمن الارز الذي يجلبهُ القطر المصري كل سنة اكثر من ثمن الارز الذي يصدرهُ وسبب ذلك تجاري محض فان الارز المصري اغلى من الارز الذي يرد من الخارج ولذلك يرى التجار ان يصدروا ارزًا مصريًا ويجلبوا ارزًا من ايطاليا والهند الشرقية . والغالب ان يكون ثمن اربعة ارطال من الارز الوارد مثل ثمن ثلاثة او اقل من الارز الصادر . وواضح من ذلك ايضًا ان مقطوعية البلاد من الارز الاجنبي تزيد على ما كان يصدر من الارز المصري فلا عجب اذا شملت المقطوعية المحلية كل محصول الارز المصري الآن اذا رخص ثمنهُ ولو زادت زراعتهُ اتساعًا

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوقاية من الدفتيريا

الدفتيريا واواتها

الدفتيريا مرض حميٌّ عفن يصاب بهِ الانسان مهما تكن سنهُ وتكثر اصابة الاطفال بهِ فيموت بهِ كثيرون منهم . لهذا الحمى مكروب خاص بها اول من شاهدهُ الاستاذ كليبس ووصفهُ الاستاذ لوفلر وصفًا وافيًا فقال انهُ يرى كحزم من الدبابيس مبعثرة على مائدة في اطرافها انتفاخ بعضها طويل او متوسط في طولهِ وسائرها قصير وقصيرها اقل سمًّا من طويلها . وهذا الباشلس قوي شديد المقاومة يظل حيًّا ولو جف عدة اشهر بل عدة سنين من غير ان يفقد حيويتهُ . ويكون كذلك على الملابس والبسط والستائر وكل شيء لمسهُ المريض

وهذا الباشلس الذي يسمونهُ « باشلس لوفلر » يوجد في الاغشية الكاذبة وفي سوائل الفم والحلقوم والغلصمة والانف وقد يوجد احيانًا في القروح الجلدية . ويدخل بالتلقيح بواسطة جرح في غشاء مخاطي ويتشر في تلك القروح بسرعة ويمكن ان يصل الى من يكون مصابًا بنزلة صجرية بسيطة او بواسطة خدش او تسلخ بسيط او جرح

يعدي المريض سواهُ مباشرة او باشياء يكون قد لوثها . فقد وجد لوفلر ثم البر وفسر رو

والدكتور برس جراثيم الدفتيريا في زور اولاد غير مرضى . واتضح ايضاً ان باشلس هذه الحمى قد يبقى زمناً طويلاً في زور المصاب بالدفتيريا حتى بعد شفائه الظاهري . وبناء على ذلك اصدر حاكم السين (احدى مقاطعات فرنسا) قراراً نبه فيه على الطبيب الفحص في المدارس بان لا يسمح للاولاد بالرجوع في حالة النقه من الدفتيريا بالعود الى مدارسهم الا بعد حصولهم على شهادة من دار الفحص البكتريولوجي التابع للحكومة يذكر فيها ان افرازات الزور خالية من باشلس لوفلر . ولا تقبل شهادة الطبيب الذي يعالج المريض بمجرد زوال الاعراض . وقد شوهد اولاد نقل الباشلس فيهم عدة اسابيع وظل في احدهم نحو ثلاثة اشهر

ومدة العزلة للمصابين بالدفتيريا في اللوائح الفرنسوية والسويسرية اربعون يوماً . وقد فحص الدكتور استوبد ٧٧٠٠ ولداً في مدارس كرستيانيا فوجد ١٩١ ولداً منهم (اي $\frac{1}{2}$ ٤ في المئة) فيهم باشلس لوفلر فطلب عزلهم الى ان يزول منهم . وجرى مثل هذا الفحص في بلاد اخرى فكانت النسبة اكثر من ذلك

علاماتها

يصاب الطفل او الرجل بحمّى وعسر في الازدراد (البلع) وتظهر نقط بيضاء على سطح اللوزتين والجزء الحلقي من الحلق ويزيد عدد هذه النقط ويختلط بعضها ببعض وتكون غشاء كاذباً يغطي اللوزتين تقريباً والجهة الحلقية من الحلق وتحتقن الغدد تحت الفك ويصير الصوت انفياً (اي كصوت الاخنف) ويكون في البول زلال ومتى تقدم المرض زاد عسر التنفس والتشخير واحتقن الوجه

الوسائط الواقية من هذا المرض

١ ان لا يختلط الاصحاء بالمرضى الذين يجب عزلهم عزلاً تاماً

٢ ان تجتنب ملاعبة الاطفال للقطط والطيور كالفراخ والحمام لئلا تكون مصابة بهذا المرض او ملوثة به فتنتقل العدوى اليهم

٣ ان لا يستعمل اللبن غذاء الا بعد غليه جيداً

٤ ان يغطي وجه الطفل ولا يعرض لوقع الذباب عليه لان الذباب قد يكون ناقلاً لباشلس المرض من افراز المصابين ومن مخاطهم

٥ ان يجتنب اكل اصناف الحلوى التي يبيعها للاطفال بائعون قذرون وتكون معرضة لسقوط الذباب عليها

٦ ان يجتنب اكل بعض اصناف من الفاكهة الاَّ بعد غسلها بماء مغلي غسلاً تامًّا وازالة غلافها (اي نزع قشرتها)

٧ ان يجتنب اكل ثمر الشليك الاَّ بعد غسلهِ بالماء المغلي والاحسن طبخهُ لاسباب لا يجهلها الذين شاهدوا كيف ينظفهُ باعنهُ

٨ ان يجتنب اكل البسيسة التي تصنع من دقيق الذرة او القمح وتباع للاطفال بين الحواري لكثرة تساقط الذباب عليها . تجد البائع لها واضعاً طستاً من النحاس فيهِ البسيسة ومقطفاً مملوءاً بسحوق السكر الممزوج بالنشا فيقدم للاطفال والشبان والكهول اطباقاً من الصفيح مملوءة منها وملعقة من صفيح ايضاً . ثم يأخذ الطبق والملعقة من شخص بعد فراغهِ منها و يقدمها الى شخص آخر من غير ان يغسلها . فالعدوى تنتقل بذلك من المريض الى السليم اما بواسطة الملعقة او الذباب المتساقط على البسيسة . ومثلها الطعام المعروف بالبليلة التي تصنع من الذرة او القمح

٩ ان يجتنب اكل الفطير الذي يباع بين الحواري فتجد بائعهُ واضعاً الفطير على اناء نحاسي قذر وترى قربهُ مقطفاً مملوءاً نخالة فبعد انتهاء الاكل من اكل الفطير يفرك يديهِ في مقطف النخالة و يحذو آخر حذوهُ ففي هذه الحال تكون النخالة والقذارة سواء . ومثل بائع الفطير بائع لقمة القاضي وبائع صنف الحلوى الملفوفة على عصاً طويلة وقد كساها الذباب . و بائع البطيخ المقطوع (المشقوق) . وبالجملة فجميع الاغذية المعرضة لتساقط الذباب عليها قد تكون سبباً في نقل عدوى الدفتيريا وغيرها فلا يجوز اكلها الاَّ بعد تطهيرها

١٠ ننصح للامهات بان يجتنبن مسَّ حلق الطفل بالمسحوق الذي تستعملهُ نساء اعتدن مسَّ حلوق الاطفال حين توعك مزاجهم لسبب من الاسباب . فتقول احداهنَّ لام طفل « ان سقف حلقهِ ساقط » ثم تدهن حلق الطفل بمسحوق قابض باصبعها القذر الذي قد يكون سبباً في نقل العدوى من مريض الى سليم فبدلاً من ان يكون الطفل متوعكاً من امساك او التهاب بسيط في فمهِ يصاب بما هو اشد من ذلك وهو الدفتيريا . وقد اطلعتني احداهنَّ على تركيب هذا المسحوق الذي يزعمن انهُ شاف من الدفتيريا المعروفة عندهنَّ بالخناق فاذا بهِ مسحوق يراز الكلاب المجفف

١١ ان يجتنب تقبيل الامهات والمراضع لاولادهنَّ في اثناء مرضهم لان ذلك قد يكون سبباً في نقل مرض الدفتيريا الى الامهات مما يكن سنهنَّ

١٢ ان تغلى ملابس الاطفال المصابة غلياناً تامًّا . وترفع الستائر والبسط وسائر ما

يمكن ان يلوث بافرازات هذا المريض وان لم يتيسر ذلك مدة المرض فيجب تعليم هذه الامتعة كلها لمجري مصلحة الصحة لتطهيرها وقاية للاصحاء من نقل جراثيم هذا المرض اليهم

١٣ ان يجتنب عادة تزقيم الحمام او بعض صغار الطيور من الفم فقد يكون ذلك سبباً في نقل امراض الطيور كالدفتيريا وغيرها اليهم

١٤ ان يجتنب شرب المياه من كوبة (او طاسة) واحدة كأن يشرب هذا جماعة الواحد اثر الآخر فيجب غسلها وتطهيرها بالماء مراراً قبل الشرب بها . فقد اصيب شخص بالدفتيريا بشربه من كوبة شرب منها آخر كان مصاباً بالدفتيريا . والشرب من كوبة واحدة لا يزال مستعملاً في بعض المدارس الاهلية والكتاتيب التي لا تفتش تفتيشاً صحياً . ولعل معلمي هذه المدارس يتنبهون لهذا الامر فيجتنبوه . وشرب الماء من كوبة واحدة قد يكون سبباً في نقل مرض آخر كالسل مثلاً من مريض به الى سليم

١٥ ان يجتنب وضع الاقلام الرصاص في الفم قبل الكتابة بها فانها تكون ملوثة بمكروب هذا المرض او غيره من فم شخص آخر . وان يمنع شرب الماء من الاسبلة التي اعتيد الشرب منها من طاسة واحدة ولاسيما الاسبلة ذات « البزابيز » التي يمر الماء منها مصفاوهي موجودة في بعض المنازل الكبيرة في العاصمة وغيرها . فهذه البزابيز قد تكون سبباً في نقل امراض الدفتيريا وغيرها

١٦ ان يجتنب قرض الاظافر بالاسنان وهي عادة قبيحة — فقد تكون الاظافر ملوثة بمكروب هذا المرض من ملامسة افراز المريض او بمكروب مرض آخر

١٧ يجب على كل شخص حين شعوره بأقل ألم في حلقه او ببعض اعراض المرض المذكور ان يستشير الطبيب في الحال لتدارك المرض قبل استحكامه

١٨ يجب على رب المنزل او ربته اخبار الطبيب الصحي في الحال اذا اصيب ولد فيه ليرشد الى ما يجب اجراؤه من العلاج وبذل النصح ويحقن المصاب بمصل الدفتيريا الشافي ويحقن ايضاً الاصحاء الذين لا بد لهم من الاختلاط به بالمصل الواقي من هذا المرض

ولقد كفت مصلحة الصحة النافعة بهمة رجالها العاملين مؤونة التعب والمشقة بتطهير الملابس والفرش وسائر الاثاث فانها موظفيها يأتون كل يوم الى المنازل التي حدثت فيها الاصابات بالدفتيريا او بغيرها من الامراض المعدية و يطهرونها التطهير اللازم فعلى كل والد او والدة ابلاغها اذا اصيب احد اولادها بالدفتيريا في الحال لتجري الاجراءات اللازمة . ولمصلحة الصحة الف شكر وشكر على عنايتها هذه

ثم ان هنالك عيادات للمرضى وللفقراء مجاناً في مكاتب صحة الاقسام ومستشفى قصر العيني ومستشفيات الاوقاف

ويجب على المتعلمين والمتنورين بحث الطبقة الفقيرة التي اعتادت اخفاء مرضاها على عرض اولادها على الاطباء في العيادات المذكورة لمعالجتهم ذلك اولى من تركهم ينقلون العدوى الى الآخرين . وعلى كبار الوعاظ والمعلمين والمعلمات وعظ الاهلين ليتمثلوا هذه النصائح لان علم الابدان مقدم على علم الاديان

محمد رشدي
حكيمباشي محافظة مصر

فوائد منزلية

ماء الشعير

ماء الشعير شراب منعش مغذٍ يصنع صانياً بان تضع ملعقة كبيرة من الشعير المقشور في حلّة وتصب عليهِ ماء بارداً حتى يغمرهُ وتضع الحلة على النار حتى يغلي خمس دقائق ثم تكب الماء وتضع الشعير في اناء من الزجاج او الصيني وتضع معهُ القشر الدقيق من نصف ليمونة حامضة وفنجاناً من السكّر وتصب عليهِ رطلاً من الماء الغالي وتغطيهُ وتتركهُ حتى يبرد ثم تزل الماء وتضف اليهِ قليلاً من عصير الليمون فيكون شراباً منعشاً

ماء الخبز المحمّص

حمص قليلاً من الخبز حتى يحمرّ جيداً ولكن لا يحترق وضعهُ في وعاء من الزجاج او الخزف المدهون وصب على الاوقية منهُ اوقيتين من الماء البارد واتركهُ ساعة من الزمان ثم صفِّ الماء واضف اليهِ نقطاً قليلة من عصارة الليمون وما يلزم من السكّر لتحليته

شراب الشليخ

اذب رطلاً من السكر في اربعة فناجين شاي من الماء البارد واغلهِ ربع ساعة حتى يصير شراباً . ثم امرث رطلين من الشليخ (الفريز) وصب عليهِ الشراب وامزجهُ بهِ جيداً ثم صفّهِ واضف اليهِ فنجاناً من الشراب الذي يكون في علب الاناناس ورطلين من الماء المثلوج وقليلاً من كبوش الشليخ او قطع الاناناس فيكون من ذلك شراب لذيذ الطعم

خضاب للشعر الشائب

يقال انهُ اذا مزجت اوقية من التاليت Tammalite باربع اواقٍ من الروم ودهن بها الشعر الشائب في المساء والصباح اياماً متوالية عاد الشعر الى لونهِ الاصلي

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق فاذا كان كاشف الغلاط غيرَ عظيمٍ كان المعترف بالغلاط اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. (٤) المقالات الوافية مع الايجاز تستغار على المطوَّلة

الفصاحة والبلاغة

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

طالعت في المقتطف الاخير مقالة شائقة في «الفصاحة والبلاغة» لكاتبٍ متحجب ولكنهُ لم يغب عن مراقبيهِ الذين استشفُّوا عينهُ من خلال هذا الاثر

وقفتُ على مقالتهِ ورقيتها بحقها من التدبر والتأمل فراعني ما لقيتهُ من براعة كاتبها في استنباط اساليب الذود عن حوض الذين شهرتهم محكمة علماء البيان حاكمةً عليهم بمخالفة شروط الفصاحة والندّ عن نهج البلاغة وراقني تفننهُ في محاولة نقض هذا الحكم وهو متين الوضع محكم البناء حتى انهُ يوشك أن يكون مُبرماً كالقضاء فشكرت لهُ ابداعهُ في التفضل والدفاع وأثنيت على حسن سعيهِ واجتهادهِ في ترقية افكار طلاَّب الادب وتحريرها من ربقة التقييد وحثّها على الجري في مضمار الابتكار والتوليد

على اني لا اكتمهُ اني رأيت في مقالتهِ اموراً لا اوافقهُ عليها ولا يسعني السكوت عنها. ولما كنت عالماً كل العلم بسعة صدرهِ وحرية افكارهِ وانهُ ليس من اولئك الذين يدعون العصمة والسداد ويكبر عليهم ان ينتدى لهم احد بشيءٍ من الاعتراض والانتقاد جئت استأذنكم في نشر ملاحظاتي هذه على صفحات المقتطف ليطلع صديقي ن. ش. عليها ويرى رأيهُ فيها آملاً انهُ يحملها على ما يعهدهُ احدثا لي الآخر من حسن النية ونزاهة القصد فكلانا وارد شرعة ورائد نجعة وكلانا ضالتهُ المنشودة نهجٌ سديد يتوخاهُ في بحث مفيد يتغرَّاهُ

(١)

اشار الى استشهاد علماء البيان على احد عيوب الفصاحة بالتفاخ في قول الشاعر:

واحمق من بكرع الماء قال لي دع الخمر واشرب من نقاخٍ مبرّد

فخالفهم في ذلك وقال ان استشهادهم بالنقاخ على الاخلال بالفصاحة في غير محلهِ . وخلاصة ما استدل بهِ على صحة حكمهِ ان الشاعر اراد تفضيل الخمر على الماء فلا بدع اذا جاء بالصحيح اسماء الخمر واقبح اسماء الماء . وقد خفي عليَّ وجه حكمهِ على النقاخ بكونهِ اقبح اسماء الماء أباعتبار لفظهِ ام باعتبار معناهُ ؟ فان كان الاول فنسبة الاقبحية اليهِ لا تصح الاَّ بكونهِ كريهاً في السمع ثقيلاً على الأذن كما قال البيانيُّون ولا وجه لمخالفتهم ومعارضة نقض حكمهم . وان كان الثاني لم يوافقهُ عليهِ احد من رجال هذا الفن لانهم يرونهُ ادلَّ اسماء الماء على أفضل انواعهِ كيف لا ومعناهُ الماء البارد العذب الصافي سمّي بذلك لانهُ ينقخ العطش اي يكسره . واذا كان مراد الشاعر تفضيل الخمر على الماء كما ذهب صديقي ن . ش . وفيهِ نظر فأحرِ بالنقاخ ان يخيّب مرادهُ من هذا القبيل . وكان حقهُ ان يجيءَ بدل « النقاخ المبرّدِ » « بالاجُونِ المسهّدِ » مثلاً (اي الماء الذي تغيَّر لونهُ وطعمهُ ورائحتهُ)

إذاً عيب النقاخ لفظيٌّ وهو كراهتهُ في السمع كما قال علماء البيان . وكأني بصديقي ن . ش . تكلَّف مخالفتهم تكلُّفاً فساقهُ الطبع من حيث لا يدري الى موافقتهم والاعتراف بأن النقاخ اثقل اسماء الماء على الاذن واوقرها للسمع

(٢)

وهنا انتقل الى عيب آخر من عيوب الفصاحة وهو تنافر الكلمات كما في هذا البيت :—

وقبر حربٍ بمكانٍ قفر وليس قرب قبر حرب قبرُ

فسلَّم بتنافر كلماتهِ وكونها غير فصيحة كلفظة نقاخ . ولكنهُ قيد تسليمهُ هذا بشرط ان يكون مراد علماء البيان بالفصاحة مجرَّد السلامة من العيوب « بلا نظر الى المراد وبعبارة اخرى بلا نظر الى البلاغة » قلت نعم هذا هو مرادهم بعينهِ كما نصُّوا عليهِ في كتبهم . والبلاغة غير منظور فيها الى الفصاحة على الاطلاق بخلاف الفصاحة فانها من شروط البلاغة ولذلك قالوا كل بليغ فصيح ولا يعكس

ومهما تكن اغراض الكتَّاب والشعراء في ما يكتبونهُ وينظمونهُ كإرادة المداعبة والملاهاة والمماجزة والمعاياة او قصد الإلغاز والتعمية والمحاجاة او تكلف جناسٍ او نوعٍ من البديع او التزام سجع او حفظ قافية او غيرها من المقاصد فان هذه كلها لم تكن تبيح لاحدهم ارتكاب شيء ممَّا يخالف القواعد والاحكام الموضوعة لعلوم اللغة وفنونها . وهذا الامر غير

محصور في اللغة العربية بل هو شامل لاحكام الصَّرف والنحو والبيان في اللغات الافرنجية فانك ترى علماءها يثبتون في كتبهم ما اجمعوا عليهِ من القواعد والقوانين ويخطِّئون من خالفها مشيرين اليهِ باسمهِ ولو كان من ابلغ الكتَّاب وانبغ الشعراء

إذاً رجال القلم — امراؤهُ وملوكهُ وسلاطينهُ — هم في كل لغةٍ لأحكامهِ خاضعون وامام محكمتهِ متساوون فلا يحق لاحدهم ان يتشبَّه بكبار رجال السيف ويقول عن نفسهِ « انا فوق القانون »

وبناءً عليهِ يُعدُّ ناظم هذا البيت الذي نحن بصددهِ مرتكباً اعيب التنافر ومحكوماً عليهِ بالإخلال باحد شروط فصاحة المركب . ولهذا الحكم — كغيرهِ من احكام علوم اللغة — قاطع جامع يتناول كل مخالف لهُ من الكتَّاب والشعراء على الاطلاق . فليس لصديقي رشيد في الحالة هذه ان يستثني منهُ حتى عميدهم وحامل لوائهم ابا الطيب المتنبي في بيتهِ : —

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى قلاقل عيسٍ كلهنَّ قلاقل

فانَّ هذه القلاقل اشبه بالزلازل وان توالى هبوبها على معالم الفصاحة ولم تزعزع شرها دكَّت بنيانها وتوهَّنت اركانها

هذا ولا يخفى ان الافراط في الاجتهاد مضرٌّ كالتفريط فيهِ وهو في الادب كما في غيرهِ محفوف بمزالق ومعاثر قد لا يسلم الخابطون فيها من المخاطر . وتحمل الاعذار لمن يرتكب خطأً أيًّا كان نوعهُ هو من شرِّ التقاليد التي تدأب كلُّنا في تمزيق اطمارها ومحو آثارها . واقل ما في هذا التحمُّل ادعاء العصمة لأناس هم منها براء وكانوا في حياتهم بعيدين عنها بعد الارض عن السماء

(٣)

لا والذي هو عالم ان النوى صبرٌ وان ابا الحسين كريم

هذا البيت لابي تمام الشاعر المشهور من قصيدة مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وقد عابهُ عليهِ البيانيُّون من وجهين اولهما عطفهُ بلا جامع يسوِّغ ذلك لأنَّ مرارة النوى وكرم ابي الحسين ليس بينهما اقل شيء من المناسبة او المضادَّة فلا يحسن الجمع بينهما والثاني انتقالهُ الى المدح على اسلوب ليس فيهِ شيء مما يقتضيهِ حسن التخلُّص المعدود احد اسوار القصيدة الثلاثة فانهُ يوجب على الشاعر ان يستطرد من سياق الكلام الذي اخذ فيهِ الى

غيره على وجه يخلصهُ اختلاساً بحيث لا يشعر السامع بانتقاله من المعنى الاول الاَّ وهو قد وقع في الثاني لشدَّة ما بينهما من الالتئام . ولما كان الانتقال من ذكر النوى الى كرم ابي الحسين خالياً من هذا الامر البيت عُدَّ البيت عاطلاً من حلية حسن التخلُّص

اما صديقي ن ش . فعارض في هذا الحكم وحاول نقضهُ بتعليل طويل دلَّ على حسن اجتهاده ولكنهُ لم يظفره بنيل مراده . على اني اشكر لهُ تنبيههُ على خطإٍ قولي ابي تمام « النوى مرٌّ » وصوابهُ مُرَّةٌ الاَّ ان يكون مرادهُ بالمرّ العصير المعروف [وهو طيب الرائحة مرّ الطعم] لا الصفة من مرَّ ضدَّ حلا وحينئذٍ ينتفي وجوب تأنيثهِ

بقي انهُ في كلامهِ على البلاغة عرَّفها بانها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ثم قال على الاثر انها « قد تكون بكلام وقد تكون بلا كلام » وأسهب في ذلك إسهاباً طويلاً . واذا صحَّ انَّ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال — وانها لكذلك — فما ليس بكلام ليس ببلاغة . واذا جاز لنا عند المبالغة في وصف فائدة السكوت ان نعدَّهُ ابلغ من الكلام كقول المتنبي « لسان الدمع افصح من بيانٍ » وكقولي بالامس لمن سألني عن سبب تركي الكتابة في هذه الايام : —

سكوتي الآن ابلغ من كلامي فما شأن اليراع مع الحسام

لم يجز لنا قسمة البلاغة الى ناطقة وصامتة لانها لا تكون الاَّ بالكلام

وقد أصاب في ما لاحظهُ على بيت شوقي من رفع « فيطرب » وحقهُ النصب لانهُ معطوف على « ان يغني » ولا يصحُّ جعل الفاء فصيحة مستأنفة . هذا هو موجب نصب « فيطرب » لا غير . اما الموجب الآخر الذي اشار اليهِ بقولهِ : « بعد وقوعها في جواب طلب محض » ففيهِ نظر لان انتصاب المضارع بان المضمرة وجوباً بعد فاء السببية الواقعة في جواب الطلب المحض يشترط فيهِ ان تكون صيغة الطلب خالية من أن وان يكون فاعل الجواب غير فاعل الطلب نحو هل تزورنا فتحدثك اما في نحو قولك « هل لك ان تزورنا فتحدثنا » فالجواب منصوب بالعطف على الطلب لا بان المضمرة بعد الفاء وجوباً وفي قولك « هل تزورنا فتحدثنا » مرفوع بالعطف عليهِ . وهكذا الجواب في « فهل ليراعي انت يغني فيطرب » فانهُ منصوب بالعطف على الطلب ولو حذفتَ أن وقلتَ هل يغني يراعي فيطرب لامتنع نصب الجواب والله اعلم بالصواب

القاهرة اسعد داغر

بالاوساط العلمية المعروفة في اوربا ومصر واسهب في ذلك كله باحثاً ومدققاً وحبذا لو دقق بمثل ذلك في ما ذكره في الصفحة ٢٨٠ وما بعدها من حيث المكر السياسي فان كتاب لورد كرومر صريح في هذا الباب مؤيد بالادلة الرسمية يظهر الاخلاص في كل سطر منهُ ومداره على ان الحكومة الانكليزية لم تكن قط راغبة في احتلال القطر المصري ولا في البقاء فيهِ . وهذا ليس من موضوع الكتاب ولو استطراداً

تاريخ مصر الى الفتح العثماني

تأليف عمر افندي الاسكندري والمستر سفدج

اودع المؤلفان هذا الكتاب خلاصة تاريخ مصر من اول عهدها الى اوائل القرن السادس عشر لميلاد اي مدة سبعة آلاف سنة او اكثر ولذلك التزما الاختصار التام لكنهما ذكرا زبدة ما يحتاج اليهِ التلميذ او ما يحسن ان تعيهُ ذاكرتهُ من امهات الحوادث وزينا الكتاب بكثير من الصور التي تزيد المتن وضوحاً . ومما يزيد هذا التاريخ فائدة ان مؤلفيهِ توخيا جعلهُ وطنياً على قدر الامكان فنشرا فيهِ صوراً كثيرة من الآثار والمباني المصرية . ولما تكلما عن الاسكندر المكدوني رسما صورة تمثالهِ المحفوظ في دار الآثار بالاسكندرية وكذلك صورة يوليوس قيصر وكليوبطرة ومرقس اوريليوس فانها منقولة عن تماثيلهم المحفوظة في تلك الدار . وامعنا في الكلام على العرب وادبائهم وآدابهم وعلومهم وحروبهم . وفي الكتاب خلاصات تاريخية تسهيلاً للمراجعة وفيهِ نحو ٣٠٠ صفحة

الشذور

اهدى الينا الكاتب الاديب عباس افندي محمود العقاد كتيباً سماهُ الشذور وقال فيهِ انهُ مقالات قصار في الادب والاخلاق لم يسبق نشرها . وعدد المقالات اثنتا عشرة مقالة في موضوعات شتى كالراحة والغرور والبخيل وقوة الارادة . ومنها مقالة عنوانها « الصدى ونرجس » نثبتها برمتها للدلالة على اسلوب الكاتب قال :

«الصدى في اساطير القدماء جنيّة من بنات الغاب والاودية ، ونرجس فتى صليل المعين من آلهة الماء . وكانت الصدى ذات منطق فصيح وحديث خلاب يستهوي السامع فينسيهِ نفسهُ ، ويلهيهِ عن شأنه ، فمرت بها (هيرا) حليلة (زوس) رب الارباب فاستوقفتها بالحديث وعالتها عما قدمت لهُ . وكانت هيرا قادمةً لتباغت (زوس) مع خليلاته فلما وصلت كنَّ قد هربن وبقي حليلها وحدهُ في مخدعها . وعلمت هيرا انهُ لولا الصدى لما أفلتَ

ولتلك الضرائر منها فغضبت عليها وسلبتها قوة الحديث الاَّ ان تردد ما تسمعهُ ولا تزيد عليهِ

أحبت الصدى نرجس فلم يحفل بها ، وامتنع عليها ان تبثهُ هيامها فذاب لحمها ، وبلي عظمها ، ولم يبق منها الاَّ نفس مصعد ، وصوت مردد . اما نرجس فقد تقمت عليهِ (نمسيس) بنت الليل والربة المنتصفة للمظلوم من الظالم . فقمت عليهِ جفاءهُ وتيهه فامهلتهُ الى ان اقبل على بعض العيون ووقف يتجب بما ابداهُ الماء من جمالهِ فمسخته زهرةً في مكانهِ ، فهو لا يبرح واقفاً على حافات العيون والجداول ناكس الطرف يطل على خيالهِ في الماء

بهذا التمثيل الشعري كان القدماء يفسرون عجائب الطبيعة و يشاركونها في الاحساس فيبتهجون ويحزنون انها تضحك لهم ، ويحزنون ويحسبون انها تبكي معهم . ويصاحبونها مصاحبة الاحياء للاحياء ، فكانت الطبيعة حياةً كلها وليس في زاوية من اخفى زواياها موضع للجمود

وقد كانت هذه الاساطير مادة غزيرة للشعراء فاولعوا بالنظم فيها ، وعُني احدهم بنظم قصص الميدولين والمتقمصين فسبكها احسن سبك . وهو (پبليوس اوڤيديوس ناسو) شاعر لاتيني ولد قبل الميلاد ونفاهُ القيصر اوغسطس من رومة لانتشار الشعب الروماني بغزلهِ . كما نفى عمر بن عبد العزيز الفرزدق من المدينة لتهتكهِ ، وكما نهى المهدي بشاراً عن التشبب في ابيات المدنية العباسية . واليك ما نظمهُ في حكاية الصدى قال :

« راعت الصدى نقفو اقدام نرجس ولا يراها . وكلما خفتهُ تعاظمت برحاؤها ، وتحرقت احشاؤها ، كهواء المشاعل يتبعها ولا تدركهُ الابصار ، ويكاد يضطرم وان لم تمسهُ نار . وطالما همت بان تفاتحهُ بتحية او تستعطفهُ بكلمة ، فكان يخونها الحياء ، و يستعصي عليها النداء

« وضل نرجس عن رفاقهِ يوماً فجعل يصيح أليس هنا احد ؟ ؟ قالت الصدى أليس هنا احد . . . وسكتت

« فبهت نرجس وتلفت حولهُ أيرى مصدر الصوت ، وناداى هلم اليّ ! هلم اليّ ! فسمع الصدى تجيبهُ ! هلم اليّ . . .

« وقال نرجس دعينا نلتقِ ! ! فسرعان ما سمع رجع كلامهِ بصوت مدفيهِ الحنان ، وترنمت بهِ الشعاب والغيران . ووثبت اليهِ تضمهُ وتعانقهُ فاجفل منها ومضى وهو يقول : اعزبي عني ! ! لا كنت ولا كان قلبي ان جرى بيننا الحب . . .

« صدمة كسرت قلب الصدى فنادت وهي كاسفة . . . جرى بيننا الحب ! !

« ثم ما زالت يخز في قلبها الداء الدفين ، و يأكل منها الكمد والانين ، حتى عادت ارق من الهواء . وبراها النحول الاَّ خفقة نداء ، لا تلبث ان يعبث بها الفضاء »

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ وألقابهِ وعمل اقامتهِ اضاءً واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كاف

(١) معجم العربية

شبراخيت . احمد افندي الصراف . اي المعجمين اوفى بحاجة الطالب أهو المحيط للفيروزابادي او اقرب الموارد للشرتوني

ج . نرى ان اقرب الموارد اوفى لاسيما وان ايجاد المطلوب فيهِ اسهل واسرع

(٢) شرح ديوان البحتري

ومنهُ . هل يوجد لديوان البحتريه شرح مطبوع

ج . كلاَّ

(٣) ديوان بشار بن برد

ومنهُ . هل ديوان بشّار بن برد مطبوع او بعض لصائدهِ ومنظوماتهِ مطبوع في كتاب على حدة لا ضمن بعض الكتب

ج . لم يطبع ديوانهُ على حدة ولم يجمع حتى الآن فيما نعلم . وكان احد علماء طرابلس الشام قد اهتم بجمع اشعار بشار منذ سنتين ثم لم نسمع ما جرى بعد ذلك . وقد طُبع جانب كبير من شعر بشار في كتاب الاغاني وفي مختارات البارودي

(٤) رجوع البصر

اسيوط . زكي افندي ناشد . قرأنا في الجرائد الصادرة في ٧ الجاري بين تلغرافات روتر من كوبنستون انهُ انزل ٢٠ جريحًا من الباخرة اسبريان بينهم بعض الجنود الذين كانوا في ساحة القتال في فلاندر واصيبوا في عجز عن القتال وكان جندي كندي قد اصيب بفقد البصر فعاد اليه بصرهُ على اثر الصدمة الناشئة عن الانفجار في الباخرة . فنرجو التكرّم بافادتنا على صفحات المقتطف في الباب الخاص بذلك عن كيفية رجوع البصر بعد فقدهِ بواسطة الانفجار

ج . قد يحدث فقد البصر من ضربة على الرأس او من تأثير البرق او نحو ذلك . كأنهُ يقع شلل حينئذٍ في شبكية العين ثم يزول هذا الشلل من نفسهِ او بصدمة اخرى فيعود البصر الى حالهِ . والظاهر ان الرجل المشار اليهِ في التلغراف اصيب بهذا النوع من العمى ثم شفي منهُ . اخبرنا بعضهم انهُ رأى بين الجنود الذين عادوا من الدردنيل الى هذه

العاصمة جندياً فقد البصر من احدى عينيه وهي سليمة لا علّة ظاهرة فيها

(٥) كتب الطبية والادوية

مينا افندي مرعي افندي حسين مرعي . هل توجد كتب عربية قديمة او حديثة تبحث في التغذية والمواد المغذية من الجهة الكيماوية والفسيولوجية وفي العقاقير والادوية المتخذة من النباتات والمواد المصرية

ج . من الكتب القديمة قانون ابن سينا فيه فصول مطولة في التغذية والمواد المغذية ولكن البحث فيها ليس من الجهة الكيماوية والفسيولوجية . وفي كتاب الفسيولوجيا للدكتور ورتبات فصول في التغذية من الجهة الكيماوية والفسيولوجية وكذا في كتاب صغير له في الميجين وهو مطبوع في المقتطف وفي كتاب آخر للدكتور بوست . وتجدون في المقتطف فصولاً كثيرة عن التغذية والمواد المغذية فسيولوجياً وكيماوياً . اما العقاقير والادوية المتخذة من النباتات المصرية والمواد المصرية خاصةً فلا نعرف كتاباً فيها من الكتب القديمة ولا الحديثة

(٦) المذهب النباتي

السويس . محمد افندي زكي . نود ان ترشدونا الى كتاب في اللغة الانكليزية يشرح المذهب النباتي وبين طرق اعداد الاطعمة النباتية

ج . في الانكليزية كتب ومجلات كثيرة تبحث في ذلك منها The Ethics of Diet تأليف Howard Williams و The perfect way of Diet تأليف Dr. Anna Kingsford ومن مجلاتهم Herald of the Golden Age و Vegetarian Messenger

(٧) انتشاره في انكلترا

ومنه . يقال ان هذا المذهب منتشر في انكلترا انتشاراً عظيماً ومتمذهب به كثير من الانكليز . والانكليز كما نعلم اعرق الامم في المدنية وهم اكثر الشعوب طلباً للحقيقة وجرياً وراءها لذلك لا يمكن ان ينتشر مذهب بينهم الاّ اذا كان فيه شيء من الصواب على الاقل فهل الامر كذلك

ج . نعم في هذا المذهب شيء من الصواب بل كثير من الصواب لان الانسان يستطيع ان يكتفي بالاطعمة النباتية . ولكن الانكليز اكثر الامم اكلاً للحوم ونحوها من الاطعمة الحيوانية واقلهم اكلاً للخبز وغيره من الاطعمة النباتية فان كان تفضيلهم للطعام الواحد على الآخر مبنيًّا على انهم اعرق الامم في المدنية واكثر الشعوب طلباً للحقيقة فيكون اكثارهم من اكل الاطعمة الحيوانية واقلالهم من اكل الاطعمة النباتية حجة على النباتيين لا لهم . والانسان يستطيع ان يعيش من غير ان يأكل اطعمة حيوانية . والاطعمة الحيوانية اغلى في الغالب من الاطعمة النباتية ولكن

الامم التي تعتمد على الاطعمة النباتية وقلما تأكل طعاماً حيوانياً هي اضعف من الامم التي طعامها مزيج من الاطعمة النباتية والحيوانية

(٨) مناظر السينماتوغراف

بنها · متري افندي سليمان · ترى مناظر في السينماتوغراف بعيدة الفهم مثل تصادم قطارين وحرق منازل وتكسير آنية غالية الثمن وظهور جيوش كثيرة العدد في تمثيل رواية نبوليون مثلاً وموت بعض الافراد من تصادم اوتوموبيلات ونسف بعض القطارات والمنازل واغراق سفن ونحو ذلك · فهل هذه الاشياء تحدث حقيقة في التمثيل ام هناك مهارة مخصوصة

ج · ما ذكرتموهُ يخطر على بال كل مَن يرى صور السينماتوغراف · ولم نطّلع على شرح لهُ ولكن يعلم ان بعض الروايات يُنفق على إعداد الرواية منها وتصويرها عشرة آلاف جنيه او عشرون الف جنيه فلا عجب اذا استُخدم فيها مئات والوف من الناس وكسرت فيها ادوات كثيرة وظهرت فيها صور اماكن حقيقية فان الممثلين قد يذهبون لهذه الغاية الى قلب افريقية او يدخلون القصور والقلاع والحصون

ثم ان الصورة الفوتوغرافية لا تدلُّ على جرم المصوَّر فقد يكون طول صورة الانسان سنتمتراً واحداً وقد يكون متراً او مترين ومع ذلك تراها العين ويقوم في النفس انها صورة انسان حقيقي بجرمهِ الطبيعي وقس على ذلك صور البيوت والسفن والقاطرات فاذا وقف انسان امام قطار حقيقي وصُوِّر القطار وهو قادم اليهِ ثم ادير آلة التصوير ووضع امامها قطار صغير مما يلعب بهِ الاولاد ووضع تحتهُ تمثال صغير كالاصبع وصوِّر وهذا القطار مارٌّ عليهِ ثم أُظهرت الصورة الاولى والثانية في دار السينماتوغراف تعذَّر على مَن يراها ان يميز الاولى عن الثانية ويعلم ان الاولى صورة قطار حقيقي ورجل حقيقي والثانية صورة قطار صناعي صغير مما يلعب بهِ الاولاد وتمثال رجل كالاصبع لاسيما وانهُ يمكن تصغير الصورة الاولى وتكبير الثانية بابعاد آلة التصوير وتقريبها كما لا يخفى

واذا دققتم النظر ترون ان عارضي هذه الصور يفصلون بين اجزاء الحادثة الواحدة حتى لا يبين الانتقال من الصور الحقيقية الى الصناعية فيظهرون مثلاً صور لصوص هجموا على امرأة ليقتلوها ثم يرفعون الصورة ويظهرون صورة اولئك الرجال وقد حملوا المرأة بعد قتلها وطرحوها في البحر او في النهر فالصورة الثانية من صور المرأة انما هي صورة تمثال عليهِ ثياب امرأة وهو الذي يطرحونهُ في البحر او النهر · والذين صوَّروا هذه الصور صوروا اولاً صورة امرأة حقيقية هجم عليها

اللصوص ثم ابدلت المرأة الحقيقية بتمثال امرأة وهو الذي القاهُ اللصوص . واذا عرفتم ان بعض الصور منقول عن اشياء حقيقية وحوادث واقعية وبعضها منقول عن اشياء صناعية وقد تبلغ نفقات تصويرها الوفاً كثيرة من الجنيهات وان العين لا تميز بين صور الاشياء الحقيقية وصور الاشياء الصناعية مهما كانت الثانية اصغر من الاولى وان مظهري الصور يفصلون بينها على اسلوب يمنع الاستدلال على الانتقال من الواحدة الى الاخرى — اذا عرفتم ذلك كلهُ سهل عليكم تفسير كل ما ترونهُ او اكثرهُ

(٩) اطالة العمر

اسيوط . ثابت افندي جريس بشاي قرأت ان احد اساتذة جامعة هال اخذ نوعاً من انواع النبات العفن الذي يثمر على جثث الذبان الهالكة ولا يعيش اكثر من اسبوعين ثم عالجهُ حتى عاش ست سنوات . فاذا كان هذا صحيحاً فهل يتوصل العلماء يوماً ما الى زيادة عمر الانسان كما فعل هذا الاستاذ

ج . كلاَّ لان النبات الفطري او العفن مؤلف غالباً من خلايا بسيطة فالوسائل تفعل بها بسهولة لقلة تركيبها وسرعة تولدها وكذا اكثر المكروبات فاذا كانت زيادة الحرارة تفيد في اطالة حياة هذا النبات اسبوعاً واحداً فالنسل الجديد الذي يتولد كل اسبوعين يطول عمرهُ اسبوعاً بزيادة الحرارة فتزيد حياتهُ ستة كل سنتين اي تزيد ست سنوات في اثني عشرة سنة . وابن ذلك من جسم الانسان المؤلف من ملايين لا تحصى من الخلايا كلٌّ خلية منها لتنتهي لاطالة عمرها وسائل قد لا تفيد غيرها او كل مجموع منها قد يقتضي من الوسائل غير ما يقتضيهِ غيرهُ . لنفرض انهُ كشفت طريقة لاطالة اصابع اليد اليمنى في رجل وامرأتهِ واثرت في جسميهما واورثا هذا التأثير ابنهما الاكبر ثم تزوج ابنها هذا بامرأة لم يستعمل والداها هذه الطريقة لاطالة اصابع اليد اليمنى فاولادها منهُ قلما يحتمل ان يرثوا طول الاصابع لان الصفة الجديدة التي دامت عشرين سنة او ثلاثين سنة فقط لا لتغلب على صفة قديمة تمكنت الوفاً كثيرة من السنين ولكن اذا وجدت اسباب تطيل اصابع الناس كلهم واستمرت الوفاً من السنين فالمرجح ان اصابعهم تطال بها اطالة دائمة وكذلك اذا وجدت اسباب تطيل عمر الانسان واستمرت تفعل على نسق واحد الوفاً من السنين فالمرجح ان عمر الانسان يطول بها

اما اطالة العمر او اطالة متوسطهِ التي نذكرها في المقتطف احياناً فسببها استعمال الوسائل الصحية والطبية لتقليل موت الاطفال وفتك الامراض والاوبئة فيظهر ان متوسط عمر الناس قد طال لقلة الذين ماتوا صغاراً

ولكن نهاية ما يصل اليهِ عمر الشيوخ لم تتغير منذ خمسة آلاف سنة الى الآن على ما هو ثابت من التواريخ فقد كان الشيخ في زمن الفراعنة يبلغ سبعين سنة او ثمانين أو تسعين او مئة ولا يزال يبلغ هذا العمر الآن ولا عبرة بالذين شذوا عن هذا الحد

(١٠) جعل التعليم اجبارياً

ومنهُ ٠ ماذا يقترح المقتطف لجعل التعليم اجبارياً في مصر وما هي العوائق التي تحول دون تعميمهِ الآن

ج ٠ العائق الاول والاهم قلة المعلمات والمعلمين ٠ ففي القطر المصري نحو مليونين ونصف من الصبيان والبنات سنهم بين السادسة والرابعة عشرة ٠ فاذا فرضنا انهُ يلزم لكل ٢٥ منهم معلم او معلمة لزم لهم كلهم مئة الف معلم ومعلمة او نحو سبعين الف معلمة وثلاثين الف معلم ٠ واذا فرضنا انهُ يلزم لكل ٥ منهم معلم او معلمة لزم لهم نصف ذلك من المعلمين والمعلمات وليس في القطر المصري الآن ربع عدد المعلمين المطلوبين ولا عشر عدد المعلمات ٠ والمعلمات الزم من المعلمين لتعليم الصغار كما لا يخفى ٠ واذا اردنا ان ننشئ مدارس لتعليم المعلمات حتى يخرج منها ثلاثة آلاف وخمس مئة معلمة كل سنة ليبلغ عددهن ٣٥ الفاً في عشر سنوات ويصرن كافيات لتعليم البنات والاطفال وجب ان يكون عدد التخرجات من هذه المدارس اربعة اضعاف ذلك على الاقل لانهُ لا يحسن ان يمتنع عن الزواج وينقطع للتعليم اكثر من ربع المتعلمات ٠ اي يجب ان يخرج من هذه المدارس ١٤ الف فتاة كل سنة واذا كانت سنوات التعلم اربعاً فقط وجب ان يكون عدد التلميذات في هذه المدارس ٥٦ الفاً ٠ واذا فرضنا ان نفقة تعليم التلميذة في السنة في مدارس المعلمات خمسة وعشرون جنيهاً فقط وهي اكثر من ذلك كثيراً الآن بلغت نفقات مدارس المعلمات وحدها مليوناً واربع مئة الف جنيه في السنة وهذه عقبة اخرى في طريق التعليم لانهُ لا سبيل لايجاد هذا المال لا من ميزانية الحكومة ولا من مجالس المديريات ولا من زيادة الضرائب على الاطيان ٠ واذا اضفنا الى ذلك ما يلزم من النفقات لمدارس المعلمين اي لكل ما يلزم لجعل التعليم عاماً اجبارياً لم يقل مجموع النفقات السنوية عن ثلاثة ملايين من الجنيهات

والذي نشير بهِ هو مواصلة السعي في نشر التعليم فان ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ ٠ ولا يحسن ان يجعل التعليم اجبارياً قبلما توجد معداتهُ الاولى وهي المال والمعلمون والمعلمات

(١١) قصيدة يا ليل الصب

ومنهُ ٠ اين توجد القصيدة التي مطلعها

يا ليل الصب متى غدهُ
اقيام الساعة موعدهُ

ج . ترونها في مجلة الزهور فقد نشرت فيها وعارضها جماعة من شعراء العصر

(١٢) كيف تعرف خسارة الجيوش

ومنهُ . كيف تعرف خسارة احد الجيوش المتحاربة بعد واقعة ما

ج . بعدّ القتلى والجرحى بسهولة وبنادي آحاد الجيش فمن وجد منهم غائباً ولم يكن مقتولاً ولا مجروحاً فهو مفقود اي مأسور او شارد

(١٣) تكوّن الكواكب

ومنهُ . كيف تكونت الكواكب

ج . راجعوا ما كتبناهُ مراراً في هذا الموضوع في مجلدات المقتطف الماضية

(١٤) الحركة قبل التاء المربوطة

القاهرة مستفيد . من اغرب ما لاحظت ان اهل مصر يلفظون الكلمات المختومة بالتاء المربوطة بفتح الحرف الذي قبلها وهو اللفظ الصحيح كما لا يخفى . اما اهل سورية فيلفظونها بكسر ذلك الحرف الاّ اذا كان احد الحروف الآتية فحينئذٍ يفتحونها وهي : الحاء كما في صحة والخاء كما في خوخه . والصاد كما في فرصه . والضاد كما في عضه . والطاء كما بلطه . والظاء كما في بوظه . والعين كما في ارنبه . والغين كما في لغه . والقاف كما في مخرقه . والهاء كما في فوهه

ومما لاحظتهُ ايضاً ان الراء تفتح في لفظة عشرة من الاعداد وتكسر في لفظة عشرة تبعني صحبة ومعاشرة . فكيف تعللون ذلك

ج . يظهر لنا من مقابلة لهجة مصر بلهجة الشام ان الاولى اثّرت فيها اللغة اليونانية التي كانت شائعة في هذا القطر وقت الفتح والثانية اثّرت فيها اللغة السريانية او الارامية التي كانت شائعة في الشام . وكان من تأثير الاولى ان وجد التبر في اللفظ المصري وكثر الفتح والميل الى فتح الآخر قبل هذه الهاء . ومن تأثير الثانية مد الصوت والامالة بهِ والميل الى الكسر قبلها . اما ابقاء الفتحة على بعض الحروف السابقة لها فسببهُ ان التلفظ بتلك الحروف مفتوحة اسهل من التلفظ بها مكسورة لان اكثرها حروف حلقية والباقي قريب منها

(١٥) تعب الجماد

طنطا . باسيلي افندي توما . تناظرتُ مع جماعة من الادباء في ان الجمادات تحتاج الى الراحة بعد العمل كالاحياء وضربت لهم مثلاً بموسى الحلاقة فانهُ اذا تكرّر استعمالهُ ثم اريح مدة صار امضى مما لو تكرّر استعمالهُ بلا راحة فهل ذلك صحيح

ج . ان ما ذكرتموهُ عن موسى الحلاقة صحيح على ما اكدهُ كثيرون من الباحثين ولكن سبب ذلك غير معلوم حتى يستنتج منهُ هل هو يصدق على غيره او لا يصدق . ومعلوم ان دقائق الجماد في حالة حركة مستمرة ولذلك فهي تشغل مكاناً اكبر جداً من المكان الذي تشغلهُ لو بطلت حركتها وانضمّ بعضها الى

بعض فنن المحتمل ان استعمال الموسى يزيد حركة دقائق حرفهِ فيخشن ويقل مضاؤهُ واذا ترك مدة عادت هذه الدقائق الى وضعها الاول . ولكن يعترض على ذلك ان الحرارة تزيد حركة الدقائق ولا يُعلم ان الحرارة تقلل مضاء الموسى بل قد تزيد مضاءهُ ولذلك تبقى المسألة على إشكالها

(١٦) حقوق الطبع

الفيوم . فوزي افندي غبور الديري كثيراً ما نرى على الكتب المطبوعة كلمة حقوق الطبع محفوظة فهل للطبع حقوق في مصر

ج . ليس في القطر المصري قانون لحفظ حقوق المؤلفين ولكن المحكمة المختلطة حكمت بحفظ هذا الحق بناء على القانون العام وهو حفظ حق الانتفاع من الشيء لصاحبهِ

(١٧) اغتصاب حق الطبع

ومنهُ . كيف يكون الحكم على من يطبع وينشر مؤلفاً لغيرهِ

ج . اذا رفع صاحب المؤلف دعوى على طابعهِ وناشرهِ وطلب التعويض فالمرجح عندنا ان المحكمة تقدر الخسارة المالية التي خسرها صاحب التأليف بطبعهِ على هذه الصورة وتحكم لهُ بها

(١٨) حفظ حق الطبع

ومنهُ . هل يبقى حق الطبع محفوظاً بعد وفاة المؤلف وهل هو محفوظ في كل الممالك

نصَّ القانون الانكليزي الذي وضع سنة ١٨٤٢ ان حق المؤلف يبقى ما دام حيًّا ويبقى لورثتهِ سبع سنوات بعد وفاتهِ على شرط ان لا تزيد المدة التي تمتَّع بها بهذا الحق في حياتهِ وتمتع بها ورثتهُ بعد موتهِ على ٤٢ سنة . فاذا عاش بعد نشر كتابهِ ٣٥ سنة تمتع ورثتهُ بهذا الحق ٧ سنوات واذا عاش ٤٠ سنة تمتعوا بهذا الحق سنتين فقط . واذا طُبع الكتاب اولاً بعد وفاة مؤلفهِ دام الحق لورثتهِ ٤٢ سنة اي للذين يملكون نسخ الكتاب قبل طبعها . ويسجل اصحاب الكتب اسماءها وتاريخ طبعها اول مرة حتى يُعلَم متى ينتهي حق مؤلفيها . ولا يحق لاحد ان يقيم دعوى على طابع كتابهِ ما لم يكن قد سجَّلهُ كذلك ولكن اصحاب الجرائد والمجلات يكفي ان يسجلوا اول عدد منها فيصدق التسجيل على كل ما يتلوهُ ويحفظ حق اصحابها . ثم صار حق المؤلفين دولياً عامًّا في مؤتمر برن سنة ١٨٨٧ ولكن مصر لم تشترك فيهِ بل اشتركت فيهِ بريطانيا وبلجكا وفرنسا والمانيا وايطاليا واسبانيا وسويسرا وتونس وهايتي ولكسمبرج ومونا كو ونروج

ويدوم حق المؤلف في انما والمجر مدة حياتهِ و٣٠ سنة بعد موتهِ وفي بلجكا مدة حياتهِ و٥٠ سنة بعد موتهِ . وكذلك في فرنسا . وفي المانيا مدة حياتهِ و٣٠ سنة بعد موتهِ . وفي بلاد اليونان ١٥ سنة بعد طبع الكتاب .

وفي هولندا ٥٠ سنة بعد طبعهِ او الى ان يموت المؤلف اذا عاش اكثر من خمسين سنة بعد نشرهِ . وفي المجر مدة حياة المؤلف و ٥٠ سنة بعدهُ . وفي ايطاليا مدة حياة المؤلف و ٤٠ سنة بعدهُ . وفي اليابان مدة حياة المؤلف و ٣٠ سنة بعدهُ . وفي نروج مدة حياة المؤلف و ٥٠ سنة بعدهُ وكذلك في البرتغال وروسيا واسوج والدنمارك . وفي اسبانيا مدة حياة المؤلف و ٨٠ سنة بعدهُ . وفي سويسرا مدة حياة المؤلف و ٣٠ سنة بعدهُ . وفي تركيا مدة حياة المؤلف و ٤٠ سنة بعدهُ وفي الولايات المتحدة الاميركية ٢٨ سنة للمؤلف واذا بقي حيًّا يجدد الحق ٢٨ سنة اخرى والاَّ فيعطى هذا الحق لورثتهِ . وهناك تفاصيل كثيرة لا محل لها هنا

(١٩) حقوق الترجمة

ومنهُ . هل للترجمة حقوق

ج . نعم تحفظ حق المؤلفين في ترجمة كتبهم في مؤتمر برن عشر سنوات

(٢٠) السواقي والطواحين في الفيوم

ومنهُ في مديرية الفيوم سواقي هدير وطواحين للغلال تدار بقوة انحدار الماء وهي آخذة في النقصان لان مصلحة الري لا تعطي رخصاً لبناء سواقي او طواحين جديدة . على ان الغريبين يتنفعون كثيراً بقوة انحدار الماء ويركبون عليها الآلات الكبيرة الكهربائية وغيرها ونحن لا نعلم لماذا تمنع مصلحة الري الاهالي من الانتفاع بقوة انحدار الماء فهل لكم ان تجيبونا عن اسباب ذلك

ج . اذا كانت ادارة الآلة بانحدار الماء لا تضرُّ احداً مطلقاً فلا نظن ان مصلحة الري تمتنع عن الترخيص بها ولكن اذا كانت تضرُّ احداً فلا يحق لها ان تصرح بها . ولقد بلغنا عن اصحاب مطحنة في مديرية الفيوم انهم اذا قلَّ الماء وقت التحاريق حجزوهُ حتى يكثر ويصير كافياً لادارة مطحنتهم ثم اطلقوهُ فالاطيان التي تروى من ذلك الماء تحت المطحنة يصلها الماء بعد اطلاقهِ ولكنهُ لا يصل اليها في المواعيد التي كان جارياً فيها وهذا يضرُّ بهم لانهُ يتعذر توزيعهُ على الزارعين كما لو كان جريانهُ مستمرًّا على معدَّل واحد . ولا يخفى ان الغاية الاولى من الماء في الفيوم هي ري الاطيان لا ادارة الآلات فيجب ان تضحى كل فائدة منهُ لاجل الفائدة الاولى التي هي ري الاطيان . واما في اوربا فالمياه التي تستعمل لادارة الآلات ليست مرصودة على ري الاطيان

هذا من جهة الطواحين اما السواقي فاذا رفعت مقدار الماء المقنن للاطيان التي تروى بها لا اكثر منهُ فلا ضرر منها ولكن التحكُّم فيها غير ممكن ولا فائدة منها اذا قلَّ الماء حتى عجز عن ادارتها فتبطل فائدتها حينما تكون الحاجة اليها على اشدها . ولا يتعذر على مصلحة الري ان تشير على تلك الاطيان باساليب اصلح من السواقي واضمن

الاخبار العلمية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

اجتمع مجمع تقدم العلوم البريطاني في مدينة منشستر في السابع من سبتمبر وخطب رئيسه الاستاذ شستر خطبة الرئاسة جاعلاً موضوعها «سبيل النجاح». ومما قالهُ فيها اننا نجد في التمهُّد للنجاح الوطني بزور الطمع الاشعبي الذي اختلب لب احدى الدول لحملها على زج اوربا كلها في هذه الحرب. ألا ترون ان ازدراء الناس للمبادىء الادبية هو الذي ولَّد الرأي الفاسد القائل ان القوة على امتلاك الشيء تخوّل صاحبها حق امتلاكهِ. وان امتلاك الشيء واجب لذاتهِ من غير التفات الى الغاية التي يستعمل لها

وسنأتي على خلاصة هذه الخطبة في الجزء التالي

مجمع تقدم العلوم الاميركي

عقد هذا المجمع اجتماعهُ السنوي السابع والستين في مدينة سان فرنسسكو في الثاني من اغسطس وخطب فيهِ رئيسهُ الدكتور كمبل خطبة الرئاسة وموضوعها «العلم والعمران» وسنأتي على خلاصتها في الجزء التالي

الغازات السامة في الحرب

اختلفت آراء الكيماويين في حقيقة الغازات السامة التي استعملها الالمان في هذه الحرب وقد كتب دهقال الكيماوي الهولندي انهُ يظهر من وصفها وشدَّة فتكها انها ليست غاز الكلور بل غاز أكسيد النتروجين الاول او هي غاز مركب من الكلور والنتروجين مثل النتروسيل كلوريد nitrosyl chloride. فان الدرهم من الكلور يقصر خمسة آلاف درهم الى عشرة آلاف درهم من الدقيق واما الدرهم من النتروسيل كلوريد فيقصر نحو اربعمئة الف درهم من الدقيق فهو اقوى من غاز الكلور اربعين مرة ولعلَّ فعلهُ الخانق اشد من فعل غاز الكلور اربعين مرة وهذا يعلل فتكهُ الشديد بالذين يستنشقونهُ

مكروب الكبريت

من المكروبات انواع تحل مركَّبات الكبريت وتخرج الكبريت الصرف منها وتركبهُ بالاكسجين وتولد منها الحامض الكبريتيك

وهذه الانواع من المكروبات تعيش في الماء الراكد وقد تلونهُ بلون احمر زاهٍ او تلون الطين الذي يمازجهُ

اغلاء اللبن

وجد بالامتحان ان المكروب المسمَّى بكروب القولون لا يموت كلهُ من اللبن المسخَّن الاَّ اذا زادت حرارتهُ على ٦٦ درجة بميزان سنتغراد

الغول وكسوفهُ

في السماء نجم كبير اسمهُ الغول عُرف منذ عهد قديم انهُ ينقد ثلثي نورهِ مرة كل ٦٩ ساعة وعُلل ذلك بان لهُ نجماً آخر متصلاً بهِ يدور حولهُ مرة كل ٦٩ ساعة فتى توسَّط بيننا وبينهُ كسف جانباً كبيراً من نورهِ ويجب ان يكون هذا النجم مظلماً تماماً ولولا ذلك لبان كسوف آخر حينما يقع وراء الغول وقد ثبت ان هذا هو الواقع اي ان نور الغول يقل قليلاً بين كسوف وكسوف لان تابعهُ يكون وراءهُ فيُحجَب نورهُ ولو كان ضئيلاً والمقدار الذي يحجب حينئذٍ هو ستة في المئة . وثبت ايضاً ان هذا التابع كثير الاشراق في الجهة التي يقابل فيها متبوعهُ وان الجانب المتجه نحونا ونحسبهُ مظلماً لا يخلو من النور ونورهُ اسطع من نور القمر

التذكير والتأنيث في الحمام

وجد الاستاذ هويتمن بعد البحث الطويل في تربية الحمام انهُ اذا نزع بيض الحمامة كلما باضتهُ واستمرَّ على ذلك الى الربيع فالبيضتان الاخيرتان اللتان تبيضهما حينئذٍ يولد منهما ذكران في الغالب والبيضتان الاخيرتان اللتان تبيضهما في الخريف يولد منهما انثيان في الغالب واما في المدة بينهما فالبيضة الاولى من البيضتين تكون ذكراً والثانية انثى

ولاحظ الدكتور اسكار رول ان احدى الانثيين اللتين تولدان في الخريف تكون كالذكر في حركاتها وسكناتها واحد الذكرين اللذين يتولدان في الربيع يكون كالانثى . والانثى التي تتصرف كالذكر تفقد هذه الصفات وتصير مثل غيرها من الاناث اذا حُقنت بخلاصة البيض من حمامة انثى . والمرجح ان سبب ذلك كلهِ المفرزات الداخلية التي تفرز من البيض والخصيتين وفعلها بالاعصاب

وقضى عالم اميركي سبع سنوات باحثاً في الحمام وبيضهِ وحضنهِ للبيض وتفقيسهِ وغير ذلك فوجد ان نسبة الذكور الى الاناث فيهِ كنسبة ١٠٥ : ١٠٠ . وان لا صحة لما اشيع من ان البيض الاول الذي يبيضهُ الحمام يخرج ذكوراً والثاني اناثاً . وان هناك علاقة بين وقت تفقيس البيضة الثانية ووقت بيض الاولى

الاوتوموبيل في اميركا

ذكرنا في الجزء الماضي ان معامل الاوتوموبيل في اميركا تصنع في السنة المقبلة مليون اوتوموبيل . ولقد قرأنا الآن في السينفك اميركان ان عدد الاوتوموبيلات في الولايات المتحدة الاميركية بلغ حتى اول يونيو الماضي ٢٠٠٠٠٠٠ وانهُ يلزم لهذه الاتوموبيلات في السنة الف مليون جالون من الغاز ثمنها ١٣٠ مليون ريال وعشرون مليون جالون من الزيت للتزييت ثمنها ٨ ملايين ريال و١٢ مليون اطار من الكاوتشوك ثمنها ١٩٢ مليون ريال وادوات اخرى تبلغ عشرة ريالات لكل اوتوموبيل والجملة مئة مليون ريال ومجموع ذلك كلهِ ٧٣٠ مليون ريال او ١٤٦ مليون جنيه عدا اجور السوّاق

المدرّعة الاولى

لما صنع الانكليز اول مدرعة من مدرعاتهم وذلك سنة ١٨٦٠ كان وزن القنبلة من اقوى مدافعهم ٦٨ رطلاً فكانت درع تلك المدرعة كافية لمقاومتها لان ثخنها كان ٤ ½ بوصة اما الآن فصار وزن القنبلة من المدافع الكبيرة التي رطل فاكثر

معمل كروب

يشغل معمل كروب الذي تصنع فيهِ المدافع وسائر ادوات الحرب الف فدان وفيهِ سبعون الف عامل وهو يصنع اربعين الف مدفع كل سنة

القنابل التي تطلق على الزبلين

صنع الفرنسويون قنابل ليطلقوها على بلون زبلين لتفتت في الجو ولا يعود منها الى الارض الا شيء قليل جدًّا اذا وقع على المساكن لا يلحق بها ضرراً يذكر

اثمن الاوقاف

في مدينة نيويورك كنيسة اسمها كنيسة الثالوث اوقفت لها الملكة حنّة الانكليزية ارضًا في تلك المدينة منذ مئتي سنة وقد ارتفع ثمن هذه الارض وزاد دخل ما بني فيها حتى يبلغ الآن خمس مئة الف جنيه في السنة

منائر للطيارات

اخذ الاوربيون يقيمون المنائر لارشاد الطيارات في البحر كما لقام المنائر لارشاد السفن . ويضع الالمان في المنارة مصباحًا كهربائيًّا ساطع النور جدًّا يبلغ نورهُ نور ٢٧ مليون شمعة وتدفع اشعتهُ في الجو فترتفع الى علو شاهق يراها الطيار وهو محلق ويهتدي بها . وفي المنارة آلة تلغراف لاسلكي تخبر بها الطيارات عن احوال الطقس وفي

كل طيارة الثانية آلة للتلغراف اللاسلكي يتناول بها الاخبار من الارض دواماً

مدفع سكودا النمسوي

قالت « مجلة المهندسين » الانكليزية تصف ما فعلت المدافع الضخمة بالحصون والقلاع في هذه الحرب وخصوصاً الميدان الشرقي منها :

« ظهر حتى الآن من مجرى الحرب الحاضرة ان الحصون والقلاع ستزول من الوجود لتحل محلها الاستحكامات والخنادق . فان هذه لا ترى ولا تؤخذ فضلاً عما فيها من الاقتصاد في المواد الحربية ومن السهولة على الجندي ثم ان مدافعها تكون متنقلة ولا تستهدف للرماة استهداف مدافع الحصون . وقد احدث هذا الانقلاب العظيم مدافع سكودا التي قطر فوهتها ١٧ بوصة فقد استعملت في غليشيا على ما يظهر وكان فتكها ذريعاً . فان ثقل قنبلتها طن وربع طن وهي من القنابل الشديدة الانفجار فاذا اصابت مكاناً اخترقته الى عمق ٢٠ قدماً ثم انفجرت فابادت كل ما حولها على مسافة ١٥٠ يرداً . اما القنبلة الفرنسوية التي قطرها ٣ بوصات فتقتل كل حي قريب بما تحدثه في الهواء من الارتجاج وتطاير شظاياها في دائرة اهليلجية طولها ٥٠ يرداً الى الجانبين بعشرة يردات الى الامام . ولما كان ثقل القنبلة يزداد بازدياد سمك جدرها فان قوة قنبلة سكودا ناشئة عن قوة ١٨٢ قنبلة من قنابل المدفع الفرنسوي ٧٥ . ثم انهُ يستحيل ضبط الرماية كل الضبط بالمدافع الضخمة جداً ولكن مداها وضخامة مقذوفاتها مما يجعلها سلاحاً تاماً .

وقد بلغت الرماية في خط مخن وعلى زاوية عالية مبلغاً ذا شأن عظيم في هذه الحرب حتى لقد قذفت القنابل بها الى مسافة ٢٥ ميلاً . وقوة هبوط هذه القنابل الضخمة من مكان عالٍ هي التي تمزق الحصون كل ممزق وتمكن القنابل من اختراق الارض الى عمق كثير قبل انفجارها . ولا يبعد ان ينقضي استخدامها لرجي البوارج الى تغيير طريقة تدريعها بحيث يصير تدريع الظهر اثخن مما هو الآن واسمن

الماس في المستعمرات الالمانية

اكتشف الماس في المستعمرات الالمانية بجنوب افريقية سنة ١٩٠٨ فلم تأتِ سنة ١٩١٢ حتى استخرج منهُ ما قيمتهُ مليون ونصف من الجنيهات وقد وجد فيها الذهب والرخام ايضاً . وزد على ذلك ان ارضها صالحة لزراعة الاثمار على انواعها والدخان . وقد جرب فيها زرع القطن فاخرجت قطناً جيداً ولذلك سيكون فقدها خسارة كبيرة على المانيا

دقيق القمح في الهند الغربية

ارتفعت اسعار دقيق القمح في جزر

الهند الغربية لاسيما وانهُ يجاب اليها من الخارج فقام اهلها ينقبون عن مواد اهلية تمزج بهِ توفيراً فوفقوا في جامايكا الى مزجهِ بدقيق الموز فجاء ذا نكهة طيبة ولكنهُ اقل تغذية من دقيق القمح او دقيق الذرة

سبب كلف الشمس

خطب الاستاذ دفيلد الانكليزي خطبة امام الجمعية الملكية المتيورولوجية ذهب فيها الى ان دوران الشمس على محورها هو سبب ما يرى على سطحها من الكلف والمشاعيل وعلل ذلك بقولهِ ان اختلاف السرعة في طبقات جو الشمس المختلفة يولد حلقات زوبعية فاذا رئيت وطرفها متجه الينا ظهرت كالكلف واذا رئيت وجانبها متجه الينا ظهرت كالمشاعل

تعقيم ماء الشرب

وضع الدكتور هوستون تقريراً عن ماء الشرب في لندن وتعقيمهِ . ومما جاء فيهِ ان السبب الاعظم في قساوة الماء (الماء القاسي هو الذي لا يرغي الصابون فيهِ) وجود بيكربونات الجير فيهِ وقتياً ووجود كبريتات الجير دائماً وان الاول يبقى في الماء محلولاً بفعل الحامض الكربونيك الذي فيهِ . والماء القاسي يلين باضافة الجير اليهِ فيتحد الجير بالحامض الكربونيك و يتألف من اتحادهما راسب من الجير المضاف ومن بيكربونات الجير الموجود في الماء وهذا الراسب يكون بصورة كربونات الجير وهو لا يذوب في الماء الاَّ قليلاً . والماء الذي يضاف اليهِ قليل من الجير يصير قلوياً ولكنهُ لا يكون كاوياً فلا يؤثر فيما يكون فيهِ من المكروبات فاذا أُضيف اليهِ مقدار كبير من الجير اصبح كاوياً وقاتلاً للمكروب ولكنهُ لا يصلح وهو على هذه الحالة للشرب فاذا أُضيف اليهِ ماء ازيل منهُ المكروب بات صالحاً لكل شيء بتخفيف فعل الجير فيهِ . وكان قد اثبت بالتجربة انهُ اذا أُخذ ماء النهر وخزن اربعة اسابيع او خمسة زال معظم المكروب منهُ فبات شربهُ مأموناً . فمثل هذا اذا اضيف الى الماء المعالج بالجير ثم صفي مما فيهِ من كربونات الجير الراسب كان سليماً من كل مكروب وآفة

العلماء والحرب

جاء من انباء المانيا ان جمعية اطباء الحنجرة حذفت اسم السر فليكس سيمون من قائمة اعضاء الشرف فيها لانهُ اشترك كتابياً في التيمس قبح فيهِ ما اتى الالمان من الكبائر في هذه الحرب . والسر فليكس هذا طبيب انكليزي مشهور وهو المانيّ الاصل ولد في مدينة دنتسك ببروسيا وتعلم في مدارس برلين وفينا وتطوع في حرب بروسيا وفرنسا سنة ١٨٧٠ اذ انتظم في سلك حرس الفرسان

البروسيين الملقبين بالاوهلان وشهد معارك اميان وباپوم وسان كنتان في تلك الحرب وحصار متس وباريس. وبعد الحرب انتقل الى لندن فتمرن في احد مستشفياتها ثم في بعض مستشفيات باريس وهو حامل لكثير من النياشين الانكليزية والالمانية والنمسوية والعثمانية. وفي سنة ١٩٠١ عين طبيباً فوق العادة لملك الانكليز

وحذت المجلة الالمانية التي تبحث خصيصاً في ادواء الحنجرة حذو الجمعية المذكورة فحذفت اسمهُ ايضاً من عداد مراسليها وكان هو قد انشأها منذ ٢٥ سنة. ولما علم مراسلو المجلة من الاطباء الانكليز بعملها هذا بعثوا يستعفون من مراسلتها احتجاجاً على الاهانة التي لحقت بهِ من معاملتهِ تلك المعاملة. وجرى مجراهم طبيب اميركي المانيّ الاصل

مسئلة الذباب

لا نكاد نطلع على مجلة علمية في الانكليزية او الفرنسوية الاَّ رأيناها تفسح المجال في كثير من اعدادها للكلام على الذباب وتطيل في بيان ضررهِ والطرق التي يجب الاتجاه اليها في ابادتهِ منعاً لاذاهُ حتى لا نرانا مبالغين اذا سمينا هذه المسئلة مسئلة الذباب وآخر ما فعلهُ الانكليز فيها ان الجمعية الزولوجية في لندن اصدرت منشوراً عنوانهُ « النصيحة العملية في المسئلة الذبابية » لخصت فيهِ الوسائل التي جربتها في مكافحة الذباب واوردت النصائح التي يجب اتباعها في اتقائهِ عن الطعام والمنازل. وفي اهلاكهِ وفي معالجة زبل الاصطبلات وغيرهِ من النفايات التي يبيض الذباب فيها ويعيش

نقول اذا كان هذا مقدار اهتمام الانكليز بالذباب اتقاءً لشرهِ وبلدهم بارد لا تقوم للذباب فيهِ قائمة الاَّ في بعض اشهر الصيف فما بالك بهذا القطر الحارّ الذي يلائم هواؤهُ مزاج الذباب كلّ الملاءمة وهو فيهِ « مقيظ مصيف مشتي » وفي رأينا انهُ لو لم يكن لرجال الصحة عندنا همٌّ الاَّ بهِ لكان في ذلك شغل شاغل لهم. فان الطاعون الذي اغضب زيداً من عهد الفراعنة الاقدمين بدليل قولهم في بعض امثالهم « الطاعون فيغضب زيد » هو الذباب هو نفسهُ الذي يغضب نسل زيد في هذا العصر ويميتهم قبل الاوان بما يبثّ لهم من السمّ في الطعام ويعمي عيونهم بما ينقل اليها من جراثيم الرمد

وصدر بعد هذا المنشور مؤلفان موضوع الواحد منهما « مقاومة خطر الذباب » وموضوع الثاني « ذبابة البيت قاتلة الناس » وقد وصف الاول منهما كيفية استعمال العلاجات لاهلاك الذباب بيضاً وطائراً واخصها البورق والفورمالين والمصائد المختلفة وابان الثاني ان خطر الذباب خطر حقيقي وحضّ قارئيهِ على درء الخطر قبل وقوعهِ

وقد خص فيه فصل بذبابة الاصطبل التي يقال انها سبب انتشار شلل الاطفال

مكتشف علاج ٦٠٦

نعت صحف اوربا الاستاذ بول ارليخ الالماني مكتشف علاج الزهري المعروف باسم سلفرسان او ٦٠٦

ولد سنة ١٨٥٤ في مدينة ستراهلين بمقاطعة سليزيا من ابوين يهوديين وتلقى الطب في جامعتي برسلو وستراسبرج . ومن اول ما اشتغل به تأثير بعض الوان الصبغ المعروف بالانيلين في الانسجة الحية واكتشف اصباغاً لتلوين المكروبات اشتهرت باسمه وابان ان بين بعض المكروبات وبعض الاصباغ الفة خاصة

على ان اعظم ما عرف به تحضير عدد كثير من مركبات الزرنيخ والزيبق الآلية وتجربتها في المصابين بالزهري مما افضى الى اكتشاف دواء ٦٠٦

وقد كانت وفاته في معمله البكتريولوجي فجأة . قالت مجلة « نايشر » العلمية الانكليزية في تأبينه : « اننا نحن الانكليز رغم الحرب القائمة الآن بين الامم اول من يعترف ان العالم فقد بموت بول ارليخ رجلاً عظيماً يستحق ان يكون في مصاف باستور ولستر وكوخ »

تذكار لجملة سكوت

عهد الى نقاش انكليزي في صنع اثر من البرونز تذكاراً للكبتن سكوت ورفاقه الذين ماتوا في الاصقاع القطبية الجنوبية وهم عائدون من اكتشاف القطب سنة ١٩١٢ بعد اكتشاف الرحالة النرويجي له . وقد اكمل النقاش عمله فطلبت اللجنة الموكلة بذلك الى اللورد كرزون ان يكتب بضعة اسطر يوضع تحت الاثر فكتب ما يأتي :

« تذكار للكبتن روبرت فولكن سكوت والدكتور ادورد ادريان ولسن والكبتن لورنس اوكس واللفتنت هنري بووارز والصف ضابط ادجر ايفانس — الذين ماتوا في اثناء عودتهم من القطب الجنوبي في فبراير ومارس سنة ١٩١٢ . لقد كانوا اهل عزيمة لا تمل وشجاعة لا تكل وصبر لا يتضعضع في وجه مكاره ليس لها مثل . ضاعت اجسامهم في ثلج الاصقاع المتجمدة الجنوبية لكن ذكرى اعمالهم نصب خالد »

اصل الماس

ذهب بعض العلماء ان الماس في جنوب افريقية تكوّن من الكربون المحلول في الصخور المصهورة ولكن قام اخيراً عالم ينقد هذا المذهب ويقول ان الضغط هو العامل الاعظم في تكون الماس ايام كانت الصخور النارية التي في بلاد كمبرلي (حيث مناجم الماس) اعمق في الارض مما هي الآن

الهواء الفاسد والقابلية

فند بعض العلماء الانكليز والاميركيين المذهب القائل بان هواء الغرف غير المطلقة يصير سامًّا لانهُ يحتوي على شوائب التنفس او لطروء تغير آخر على تركيبه الكيماوي ومحتوياته وابانوا ان ما في الهواء المحصور من الضرر عائد الى حرارته ورطوبته . على ان عالمين اميركيين اثبتا اخيراً بالامتحان ان الهواء الفاسد يضرّ الصحة بسبب تغيير الكيماوي لا الطبيعي . ذلك انهما جرّبا سلسلة تجارب في بضعة اشخاص حجزوا في غرفة حرارتها ورطوبتها واحدة ورائحة تأثير تهوية الغرفة وعدم تهويتها فيهم . وبعد ما اقام الاشخاص ساعتين او ثلاثًا في الغرفة قدما اليهم طعاماً موزونًا ثم وزنا الباقي ليعرفا مقدار ما اكلوا تماماً فتبيّن لهما ان هواء الغرف المأهولة غير المهواة يشتمل على شوائب تضعف القابلية بطريقة مجهولة من غير ان يزعج القيمين فيها او يولّد فيهم اعراضًا فسيولوجية ظاهرة

مصدر المذنبات

بحث احد علماء الفلك الدنمركيين في مصدر المذنبات هل تأتي من فضاء النجوم فيما وراء النظام الشمسي كما هو الشائع او تتولد في دائرة هذا النظام فظهر لهُ من تتبع حركات ثمانية من المذنبات والاضطرابات الفلكية التي تحدثها في السيارات ان جميع المذنبات التي رئيت من الارض نشأت في دائرة النظام الشمسي لا فيما وراءها

وقود جديد

يقال انهُ اكتشف في انكلترا وقود جديد للموظرات (مركبات الاتوموبيل) يسمى « ناتاليت » وهو مؤلف من الكحول في الاكثر مضافًا اليها قدر قليل من القلي لابطال حموضة ما يتخلف من احتراق الكحول فان هذه الحموضة تأكل من حديد المصاريع والاسطوانات

التنافس في الطيارات

روت صحف سويسرا منذ مدة ليست بوجيزة ان انكلترا تبني طيارات كبيرة تحمل الواحدة منها ١٦ نفساً . وقد علمت جريدة السينفك اميركان ان المانيا ستشرع قريباً في بناء طيارات من ذوات الاسطح الثلاثة تساوي ثلاثة اضعاف الطيارات الحاضرة في حجمها وقوتها وتحمل الواحدة منها ٢٠ نفساً يسلحون باربع بنادق من المتعددة الطلقات ومدفعاً خفيفاً يوضع في برج مدرع . وتسير الطيارة منها بقوة ثمانية موطارات وتكون كلها مدرعة

بقسماط الجيش الانكليزي

توجهت انظار اهل الامر في وزارة

الحربية الانكليزية الى فتك بعض اصناف السوس والخنافس بالقسماط الذي يصدر من انكلترا الى الجيش الانكليزي خارجها وخصوصاً جنوب افريقية وسيلان وجبل طارق ومالطة والسودان حتى يمسي غير صالح للاكل فانتدبت لذلك لجنة من العلماء وكلفتهم درس المسألة وعلاج هذه الحالة فبقيت اللجنة ثلاث سنوات باحثة منقبة حتى اهتدت الى طريقة وافية بالمرام سيفي بحفظ القسماك سليماً من فتك الحشرات

بعض الشذوذ الحيوانية

فحص احد العلماء كثيراً من البيض ذي المحين في الدجاج العادي فوجد انهُ ثلاثة انواع: الاول ما احتوى على جميع الغلف المعتادة في البيضة ذات المحين. والثاني ما كان فيهِ طرفا المح منفصلين والزلال مشتركاً. والثالث ما كان فيهِ غلافا الزلال منفصلين والغشاء والقشرة مشتركين. ووجد ايضاً ان ٧١ في المئة من البيض الذي فحصهُ هو من النوع الثاني. وان عدداً قليلاً من البيض كانت فيهِ دلائل على وجود بيضتين كاملتين معاً او على ما يسمونهُ بالتفريخ المزدوج

ووصف عالم آخر بقرة ظهرت فيها بعض خصائص الذكور الثانوية مثل غلظ الرقبة. وقبل ظهور هذه الخصائص فيها حملت ثلاث مرات وكانت حلوباً لا مثيل لها. وبعد قتلها فحصت فوجد المبيض وارماً لا وجود للجسمين الاصفرين فيهِ. وعليهِ استدل ان الجسم الاصفر في المبيض لازم لحفظ صفات الانثى الثانوية على اتمها

عمر الجثث

يستدلون الآن على عمر الجثث منذ عهد البلى فيها بحق مرور ثلاث سنوات عليها من دول الهوام والحشرات التي تتداولها. فاذا كانت الجثة جديدة سطت عليها هوام من فصيلة الديترا دون غيرها. وبعد ان يتطرق الفساد اليها ويدب الانحلال فيها تدول دولة الهوام المشار اليها وتحل محلها هوام اخرى. وفي الشهر الثالث حتى السادس اي مدة تكون الحوامض الدهنية تقوم دولة الخنفساء المسماة درمستس والسوسة المسماة اجلوسيا. ثم اذا جاء الدور الجبني بعد الدهني حلت خنفساء اخرى محلها. ومن الشهر الرابع الى الثامن تتحول الجثة الى كتلة سوداء تتسلط عليها حينئذٍ خنافس من اربعة اصناف. ثم تأخذ الجثة في الجفاف فتتسلط عليها هوام جديدة وكلما اشتد جفافها دالت دولة من الهوام والذباب المتسلط عليها لتقوم مقامها غيرها. فلا تمضي ثلاث سنوات حتى لا يبقى منها سوى ارطة العظام فيستولي عليها اذ ذاك صنفان من الخنافس يتمان عمل البلى فيها

فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والاربعين

صفحة

٣١٣ البحث الجديد في الدم
٣١٧ الحرب واسبابها النفسية
٣٢١ الاتفاق الفرنسوي الانكليزي . للدكتور امين ابو خاطر
٣٣٣ فاتحة الحرب (مصوّرة)
٣٤٠ غرائب النبات (مصوّرة)
٣٤٥ بغض الالمان لانكلترا
٣٥٦ الرحلات الافريقية القديمة (مصوّرة) . لديمتري الندي نقولا
٣٦٠ التناوس والتلقيح
٣٦٢ كيف يجب ان نكتب . (ن . ش)
٣٦٦ جزيرة ارواد
٣٦٩ العين الصناعية (مصوّرة)
٣٧٣ ما نأكل بدل اللحم
٣٧٥ مضادات الفساد

٣٧٧ باب الوراعة * الحرب والزراعة . محصول القمح . محصول القطن المصري . القطن . البزرة . محصول القطن ومنطوعيته . صادرات الارز وواردانه
٣٨٤ باب تدبير المنزل * الوقاية من الدفتيريا . فوائد منزلية
٣٨٩ باب المراسلة والمحاضرة * الفصاحة والبلاغة . القاضي يحيى بن اكثم
٣٩٦ باب التقريظ والانتقاد * انتشار الخط البرلي . مشرولية الحكومة المصرية . تاريخ مصر الى الفتح العثماني . الشذور
٣٩٩ باب المسائل * وفيه ٣٠ مسألة
٤٠٧ باب الاخبار العلمية * وفيه ٣٠ نبذة

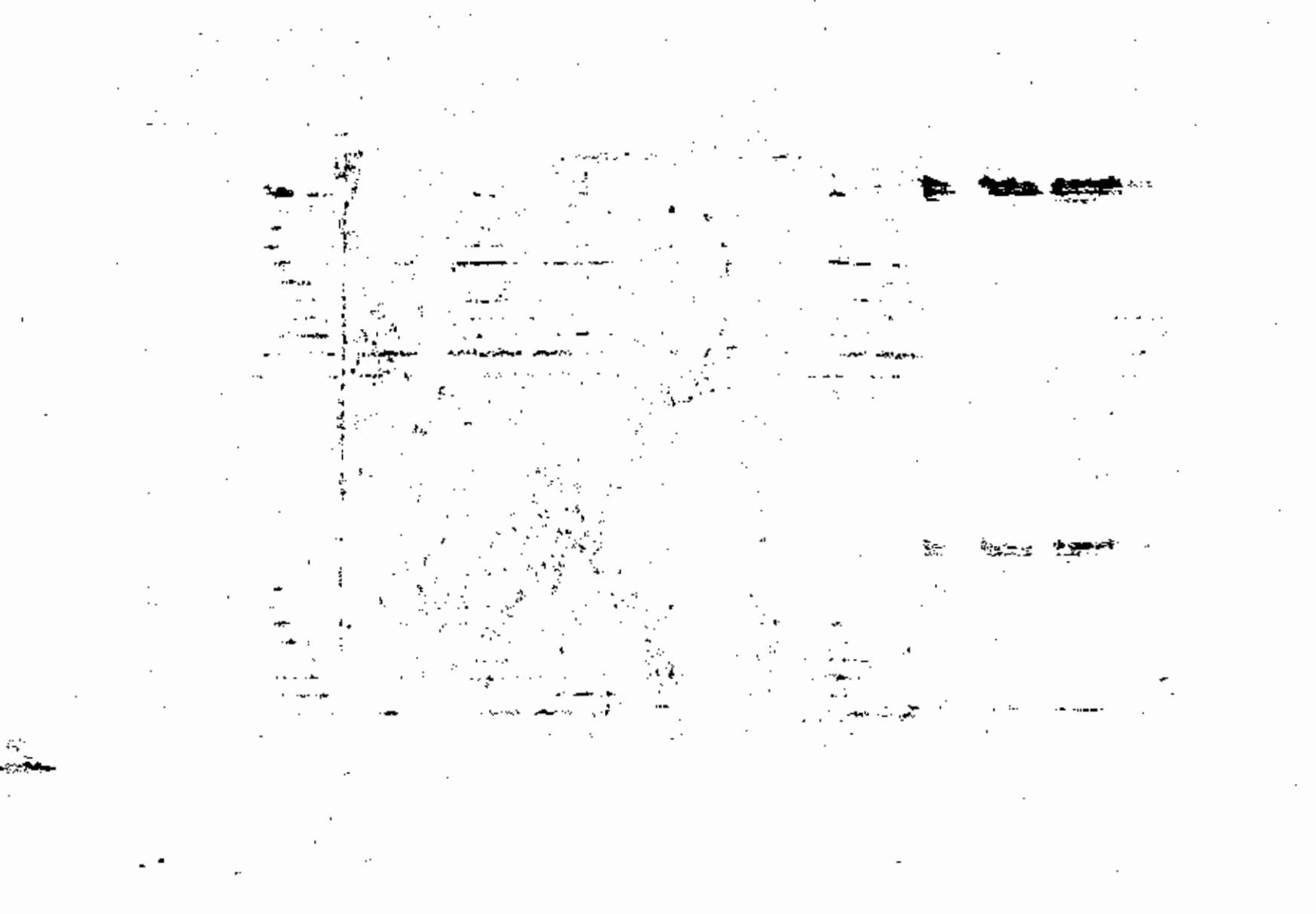

ا ب

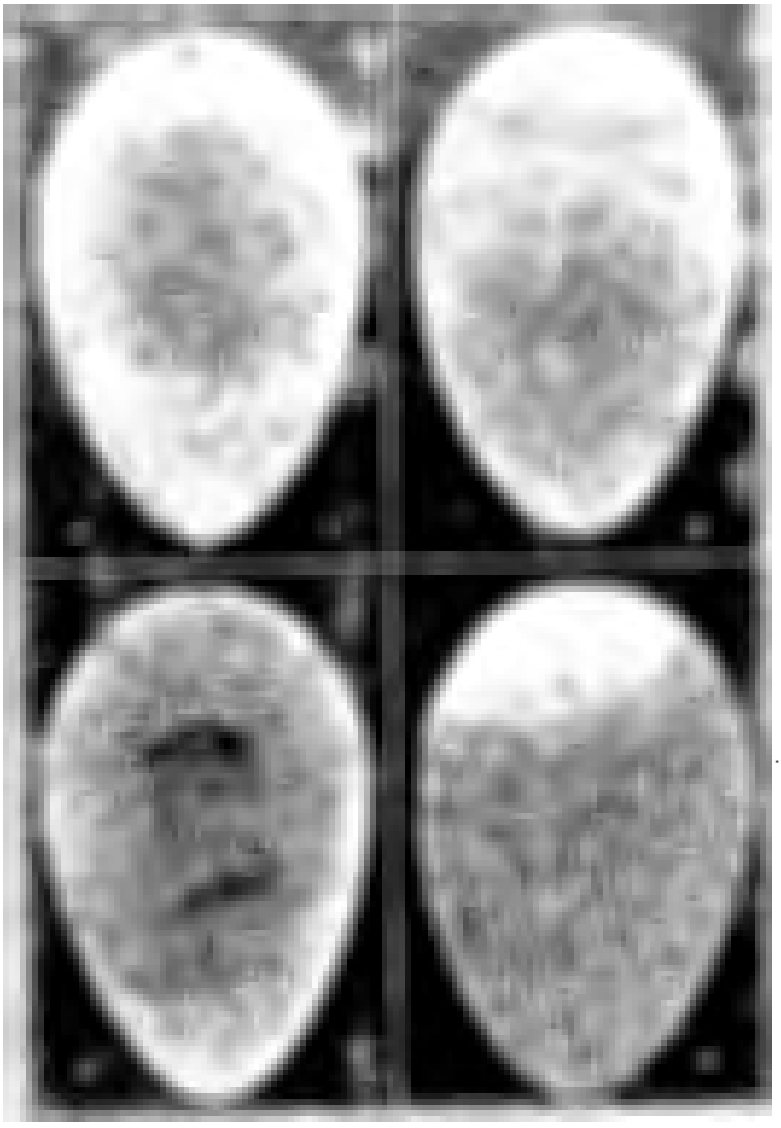

ج د

ا منظر البيضة الجديدة اذا وضعت بين العين والمصباح . ب منظر البيضة العتيقة . ج منظر البيضة التي ابتدأ فيها الفساد . د منظر البيضة الفاسدة تماماً . انظر الصفحة ٤٢١

متحف نوفمبر ٩١٥ .